سلسلة فقهاء الظلام
وللإرهاب أقنعه (الجزء الأول)



بقلم
د/ سيد القمنى

مدونة
عن مصر أتحدث
3an-misr.blogspot.com

هذه المقالات منشورة في مواقع كثيرة على الإنترنت و لكن بشكل منفصل، فقمنا بتجميعها و ترتيبها كما هي في النسخة المطبوعة من هذا الجزء لسلسلة فقهاء الظلام ..

وستجد بقية الأجزاء في المدونة أيضا

ملحوظة:::ترتيب الصفحات مختلف عن النسخة المطبوعة

مدونتنا (عن مصر أتحدث)

http://3an-misr.blogspot.com

مواقع نشر مقالات د / القمني:

/http://quemny.blog.com

http://www.ahewar.org/m.asp?i=1597

المحتويات

يـــا لقـــسوتـك يا وطــــن

العزيز الأستاذ صلاح عيسى

رئيس تحرير صحيفة القاهرة

تحية محبة وإحترام مصحوبة بالإمتنان لشخصك ولأسرة تحرير (القاهرة) لموقفكم المحترم و العادل من قضيتى وبعد

هذا الموضوع هو أول موضوع أنشرة بعد إنقطاع دام مايزيد عن العام بشهور عن النشر ، مع قرارى المصيرى بالعودة إلى أحبائى وناسى ، ألتمس فيهم الدفء الإنسانى والدعم المعنوى ، لأن قرائى هم أهلى الحقيقيون ، وبينهم أشعر أن للحياة معنى وقيمة وهدف ، وأنها لذلك تستحق أن تعاش.ولعل الدافع الأهم لهذة العودة هو الأحداث التى تجرى هذة الأيام فى بلادى ، وما تتعرض لة مدنية الدولة من ضغوط خبيثة وخطرة ، وخاصة بعد صدورقانون الأحزاب الجديد ,وما يزعمة تيار الإسلام السياسى حول دولة مدنية بمرجعية إسلامية. ولأنى حتى تاريخة لم أسمع أو أقرأ ردودا متماسكة على هذة المزاعم. ومن موقع تخصصى ، والواجب المفروض على كمواطن ، كان لابد من كسر حالة الصمت التى فرضها على الإرهاب المتأسلم ، للمشاركة بما علمنية وطنى وأهلى فى هذا الوطن ، فهو جهد منهم وإليهم أحاول بة المساهمة فى رد هجمة الخراب الآتى باسم دين جميل وعظيم وبريء مما يأفكون ، هذا إضافة إلى دوافع أخرى يفصح عنها هذا الموضوع ، لم تترك لى فرصة الاستمرار فى الصمت الجبرى.

ولأنى ربما أكلفك بهذا الموضوع فوق ما تطيق ، وأن للنشر فى بلادى حسابات وأسقف حمراء عديدة ، فـقـد قررت نشرة على الشبكة الدولية للمعلومات.

أهدية اليك ، وكذلك للشيخ المثقف والنبيل **عبد الله بن زايد** صاحب الأيادى البيضاء ، وإلى الدكتور **عبد المطلب الهونى** الذى كان عوناً وقت شدة كدأبة المعلوم ، وإلى الدكتور **ثروت باسيلى** الذى كان أخاً صادق الأخوة فى عمق المحنة ، وإلى المقاتلة الجسور **فريدة النـــــقاش** ، وصديقى الأنسان **حلمى النمنم** ، وللصديق الكاتب المبدع **أسامة أنور عكاشة** ، وللأستاذ **كمال غبريال** وقلمة الصادق الصاعق ، والصديق النبيل و الكاتب النادر **محمد البدرى** ، و **لسعيد الكحل** وقلمة الرقيق كحد الشفرة ، و **أيمن السميرى** وحسم بلاغتة المبلّغة ، و **سعد صلاح خالص** الذى أبكانى بمرثيتة (ترجل الفارس وترك الحصان وحيدا) ، و **ليثال اليفن صادق** الكلمة والقلم والقلب ، إضافة إلى حشد من الأسماء الكبيرة و المحترمة : الدكتور **أحمد**

البغدادى ، وعباس بيضون ، وعبد الرحمن الراشد ، وسامى البـحيرى ، وعامر الأمير ، وعلى البغلى ، وأحمدالعويـس ، وجاسم المـطير ، وعادل حزين ، وكاظم حبيب ، ونـورة المسلم ، ولـطيفة الشعلان ، وإبراهيم الجندى ، وحسن محمد اسماعيل ، وجورجيس كوليزادة ، ولكل الكتاب الأحرار الذين تفهمـوا محنتى ، إضافة إلى أسماء أخرى كثيرة ومحترمة بالمئات ، أكثر مما تسمح به ذاكرتى العجوز ، هم نجوم سمائنا وشموس مستقبلنا ، أرجوهم الصفح والغفران إن لم أشر إليهم إسماً إسماً ، فلهم منى عظيم الإمتنان والتقدير ، وخاصة كتاب الشـبكة الدولية للمعلومات ، الذين كانوا خير الأقلام وأكثرها طهراً ، فى زمن أصبحت فيه الوطنية خيانة ، و الطهارة جريمة

بعد تردد دام الشهور المنصرمة ، كان أمامى عدة خيارات ، كان أحلاها مراً:

الخيار الأول والمتاح هو أن اظل قابعاً فى بيتى صامتا أتابع الأحداث تجرى من حولى وانا بلا حول ولا قوة ، أبتلع لسانى الأخرس ويحترق قلبى مع كل حـدث ، لأنى لا أستطيع أن أصل بكلمتى إلى الناس والتى ربما كان فيها نفعا ولو ضئيلا ، ويملأ الكلام حلقى فيخنقنى ، ويزدحم صدرى بقهر مكتوم ، فلا أجد إلا عالم المكتئبين أجوس فيه دون هدف ولا معنى لأى شىء ، لا هو زمان ، ولا هو مـكان ، لا هو موت ، ولا هو حياه ، هو عالم من فضاء لا نهائى بلا ملامح ولا معالم.

الخيار الثانى هو أن أرتكب الحماقة وأمسك بالفكرة والقلم فى تحد يائس ، وكثيراً ما فعلت ودوما ما كان عيالى يمزقون ما أكتب ، أو يخفونه أولاً بأول ، لنعيـش أياماً من المناوشات والجدل ، فأنـا لهم الأب والأم والعـم والـخال والـصديق والحبيب ، وهم سر إحتمالى الحياة حتى اليوم ، فهم من زان حياتى المضطربة وجعل لها مـعنى ، وعادة ما كان قرارهـم هو النافذ إزاء ما يتعلق بشئون الأسرة المصيرية ، وإحتراماً للمبدأ كنت أحترم الإجـماع حتى لو خالف تقديراتى وخبرتى.

من المفارقات فى أمـرى مع تهديدى بالقتل ، هو أن دافعى لكـتابة بيان التوقف عن النشر الذى طلبه الإنذار القاتل ، لم يـكن هو الخوف من الموت. وهنا لا أدعى بطولة كاذبة لأن الخوف غريزة إنسانية طبيعية ، بل لأن فى المسألة جانباً شخصياً. فأنا أمـوت كل يوم عدة مرات وأذهـب فى غيبوبات تامة نتيجة خـطأ جراحى فى جـذع المخ ، وهناك كنت أذوق طعم الموت الـصادق فعرفته عن معاشرة ومباشرة وملامسة ، وكان أهم ما خرجت به من تـجربة الموت الـمستمر ، نتيجة اعتبرتها مـعلومة هامة فى تجربتنا الوجودية ، و هى أن المـوت ليس فيه أى نوع من الألم ولا الشعور ، وليس هناك أى عوالم للعفاريت أو السعالى او الثعابين أو الغيلان أو الملائكة أو الجن ، بل هو إنتهاء للشعور بكل الآلام فى راحة أزعم أنـها جميلة

وهادئة..وكثيراً ما تمنيت ألا أعود ، لكنى فى كل مرة كنت أعود وأعلم أنى ما زلت حياً عندما أبدأ الشعور بآلام جسدى المعتل. وفى جلساتى مع أصدقائى كنت أحيطهم علماً بهذه المعرفة النافعة والهامة والمبهجة أيضاً ، خاصة أن هذه المعرفة نتيجة لتجربة حقيقية نادرة فى نوعها ، أمارسها كل يوم مرات وأعـود لأرويها لأصدقائى ، فى خلاصة هى: أن الموت لم يعد مخيفاً ، وهذا كان غاية ما يشغلنى ويشغلهم فيه كظاهرة لم تعد مجهولة

هذا ناهيك عن كونى لم أدرب نفسى على حمل البندقية ولا الخنجر ، فلا هى أدواتى ولا هى معركتى ، فهذه أدوات موت بينما صنعتى وحرفتى هى الحيا ة ، فدربت نفسى على حمل القلم وصناعة الفكرة حباً فى وطنى وناسى كـهدف تكتيكى واستراتيجى أوحد ، بغض النظر عمن سيرضى أو عمن سيغضب أو عمن يمدح أو عمن يذم. إن السلاح صنع لكى يقتل أما القلم فقد صنع لكى يخلق ويحيي ، بمساعدة العقل المنجز ، ليصوغ فكرة معادلات أو قوانين أو أفكار أو كلـمات أو إكتشافات أو إختراعات ، من أجل سعادة الإنسان. فإن كانت المعركة بين القلم والرشاش فما أبأسها معركة وما أخسرها موقعة ، وما أسوأه مجتمع يقبل بها ويشرعها ، وعندما يكون عجز الحجة وضعف البرهان والشعور بالـعار دافعاً للـرد بالقتل ، فما أبأسها شريعة وما أضعفها وسيلة تشرع مثل هذا القانون الخسيس.

بينما عندما يكون الصراع بالكلمة مقابل الكلمة ، والبرهان أمام الحجة ، والدليل إزاء القرائن ، يصبح الصراع صحياً حضارياً منتجاً ، وأنا لمثل هذا الصراع يا سيدى ، سواء نجحت أم أخفقت ، المهم أن تحدث نتيجة فى النهاية يمكنها أن تفعل فى الواقع لترتقى به خطوة... الصراع بهذا المعنى يحل المشاكل ولا يعقدها ، يعرضها على الناس ولا يفرضها ، يـضع حلولاً عديدة تترك للناس فرصة المفاضلة والتمييز للإختيار بين البدائل ، ويفتح المسا حة لكل الفرص والأفـكار لتتنافس ليأخذ منها المجتمع ما يراه فى صالحه ، فيهزموا ويُهزمون ، بدلاً من أن يقتلوا ويُقتلون ، ولا يبقى لرأى قداسة ولا عصمة ، لأن ما يمكث فى الأرض هو ماينفع الناس.

أعود بك يا صديقى الإنسان إلى تلك الأيام منذ عام ، وقبلها بحوالى سبعة أشهر ، كانت قد بدأ ت تصلنى الرسـالة اليومية لقاعدة أنصار الرافدين ، ثم بدأت الرسائل تأخذ عناوينا خارجية تحمل لوناً من التهديد المبطن والتحقير ، من قبيل (إستمع إلى سيدك أبو مصعب الزرقاوى) وبداخل الرسالة نص خطاب للزرقاوى ، أو مثل (نصيحة لوجه الله) وتحمل نصائح بالتراجع عما أكتب ومناقشة لما أكتب من وجهة نظر إسلامية شديدة التعصب والأنغلاق والفجاجة ، إلى أن أتت رسالة تحمل عنوان

(عقبالك) وبالداخل نص بيان قتل إيهاب الشريف سفير مصر بالعراق ، وكل الرسائل كانت بشعار و(بادج) قاعدة أنصارالرافدين ، ومع فتح الرسالة تستمع لأنشودة صوتيه إسلامية جهادية ملازمة لكل رسالة ، وبـــــعدها وصلتنى الرسالة القاتلة ، ولكن بتوقيع (جماعة الجهاد مصر).

وتوقفت الرسائل جميعاً بعد ذلك ، حتى أعلنت بيان توقفى عن النشر ، لتصلنى رسالة أخرى تحمل الغفران وقبول التوبة ، موقعة بدورها من جماعة الجهاد مصر ، وتوقف كل شئ بعدها. ومن ثم كان لابد أن أربط هذه السلسلة جميعها ببعضها ، وأن من أرسل الرسائل السابقة كلها من الـعراق ، على إرتباط وثـيـق وتفاهم وعلم متبادل مع من أرسل رسالة التهديد ورسالة الغفران بتوقيع جماعة الجهاد مصر ، وأنه من الغباء الفصل بين رسائل انصار قاعدة الرافدين وبين رسائل الجهاد مصر. ومنذ شهور أعلن الرجل الثانى فى القاعدة (أيمن الظواهرى) اندماجا علنيا للجماعة الأسلامية بمصر ، ولجماعة الجهاد المصرى ، بالقاعدة ، وبينما أعلنت الجماعة الأسلامية إن صدقا او كذبا عدم موافقتها على بيان الظواهرى ، فإن جماعة الجهاد المصرية لم تصدر أى تكذيب حتى الآن.

إشترط الإنذار التهديدى بقتلى خلال أسبوع من وصوله ، إن لم أنشر بيان توبة بمجلة روزاليوسف تحديداً ، والتى كنت أنشر بها دراساتى أو كما قالوا (كفرياتى) ، (وأسميته فى حينه: بيان توقف عن الكتابة والنشر لأنى لازعمت أنى سأتوقف عن التفكير ولا أنى سأتخلى عن مبادئى ، أعلنت فقط توقفى عن النشر تحت وطأة التهديد بالقتل ، ورددت خلف البيان مطالبه ، مع توضيح أن هذا الترديد هو خضوع قهرى لا إرادى). وللصدف غير السعيدة أنه قبل ذلك بأسبوعين كنت قد توقفت عن الكتابة لتلك المجلة ، بعد أن أحيل رئيس التحرير الأستاذ محمد عبد المنعم للتقاعد ، واستلم محله الشخص الذى كان رقيباً على مقالاتى. وكثيراً ما تدخل هذا الشخص بجـهل أحـمق وحـمق أخـرق فى مناطـق لا يعرفها ولا يفهمها ، مما أثار مشاكل مستمرة بيني وبين المجلة ، كانت تصل احيانا إلى حد توقفي عن الكتابة لها شهوراً ، ليتلفن لى رئيس التحرير مرة أخرى ويعد بعدم التدخل ، وهكذا دواليك.. حتى وصل السيد الرقيب إلى سدة رئاسة التحرير ، وما كان ممكناً أن أكتب للمجلة بعد ذلك. وبعد أسبوعين من التوقف جاءت الرسالة المنذرة بالقتل تطلب نشر بيان التوبة بالمجلة المذكورة. وهو ما أضطرنى إلى الخضوع راغماً للأتصال برئيس التحرير الجديد (الرقيب سابقاً) وكذلك السيد رئيس مجلس الإدارة الذى كان صديقا ذات يوم للأسف ، لمحاولة الوصول إلى تفاهم وإتفاق بين كافة الأطراف ، بما يضمن حمايتى بشكل لائق ومناسب ، سواء كنت سأنشر عندهم أم عند غيرهم. لكن السادة الذين أصبحوا كباراً فجأة لم يغفروا لى شكواي لرئيس التحرير الأسبق مرات من

تدخل الرقيب ، كما لم يغفروا لى توقفى عن الكتابة لهم بعد أن وصلوا إلى سدة حكم المجلة.. فلم يرد على أحد منهم بالمرة. فا تصلت بالدكتور وســيم السيسى وهو صديق وكاتب بنفس المجلة ، بإعتباره رجلاً وسطياً ودبلوماسياً ، ليتحدث معهم لنتقابل لنتفاهم. ويبدو أن الرجل قد عجز عن فعل شئ ، وكنت قد أرسلت لهم الإنذار ، وصيغة لبيان توبة لعله يحفزهم ، ولكن دون جدوى.

تكتمت الأمر عن أسرتى ، وبالطبع أبلغت الأمن العام وأمن دولة المكان الذى أقيم به ، وأرسلت رسالة بالفاكس إلى اللواء حمدى عبد الكريم مساعد وزير الداخلية موضحاً كل الملابسات.. وذلك فى شكل بيان توقف عن النشر أستثير فيه النصرة ، تنطق كل كلمة فية بطلب نجدة رسمى ، حتى لا أضطر لنشرة ومن ثم التوقف بعدها. كنت أنتظر نصرة حقيقية واضحة تشعرنى أن الاستمرار فى المواجهة ممكن إذا أمكن تقليل نسبة المخاطرة ، وهو ذات البيان الذي نشرته من بعد على الصحف. و كان رد الجميع كان هو الصمت التام ، عدا زيادة نفر من خفر الحراسة الريفيين ، الذين لا يعلمون عنى سوى أنى رجل كافر وعميل لإسرائيل وأمريكا. بل أن تليفونات كل هؤلاء السادة أغلقت وخرجت من الخدمة. كانوا يشعروننى عن عمد وعن قصد بالتجاهل والإهمال التام. كان الكل يدفعنى دفعاً للإستجابة لتهديد الاستتابة ، بينما الأيام تمضى وانقضاء يوم المهلة يأتى محمولاً.. لا أعلم على قنابل أم سيوف.

منذ أبلغت مكتب أمن الدولة حيث أقيم بالرسالة التى حملت عنوان (عقبالك) كان قد انقضى يومان ، ووصل البيان الثانى القاتل ، إتصلت بذات المكتب ليرد على بيه آخر من بهوات أمن الدولة ، فأخبرته بوصول بــيان جديد منذ دقائــق ، وقلت له: "أدخل النت بسرعة على الإميل الخاص بى" ، وكنت قد أعطيت كلمة السر لهم قبلها بيومين ، لكن لأكتشف أن هذا البيه لا يعرف ما أبلغت به زميله البيه الأول منذ يومين بالمرة. قال: "أنا مش فلان بيه إللى إنت كلــمته لأنه فى أجازة". أعطيت البيه الثانى كلمة السر مرة أخرى ورجوته الدخول على بريدى سريعاً فكان رده المبهر الصادق: "أصل أحنا هنا ما عندناش نت"؟! (ولا تفهم هنا لماذا أخذ فلان بية الأولانى كلمة السر: تهدئة لخاطرى أم هى لامبالاة تامة؟). قلت: "يا سيدى أبلغ لاظوغلى وهم يتصرفوا". قال: "طيب قبل ما أبلغ أرسل لى صورا من تلك الرسائل على ورق لأطلع عليها". أجبته بالإيجاب وطالبته بإرسال مندوب عنه إلى بيتى ليتسلمها ، فكان رده المبهر: "طيب ملينى عنوانك "؟! سادتنا البهوات بأمن الدولة بعد كل ما حدث يريدون عنوانى؟! هذا بينما كانت "روز اليوســف" تنزل على النت قبل صدور العدد الورقى ، وبها موضوع يؤكد أن كل ما حدث هو فبركة مخترعة من جانبى. ولتأكـــيد أنها فــبركة استشهدوا بإثنين من أهل الخــبرة

والمعرفة ، ليس من بهوات بوليس مصر ، ولا من خبراء الإنترنت ، ولـكن من خبراء الجماعات الإرهابية ، **منتصر الزيات** محامى الإرهاب المعروف ، **وكمال حبيب** المحكوم بقضايا إجرام إرهابى عشر سنين ، و سبق له الـحبس فى عمليات إرهابية ضد الوطن ، وسبق لى أن هـزمته شر هـزيمة ، أو بالأحرى سحقتة سحقا فى برنامج الإتجاه المعاكس بقناة الجزيرة.

هنا أدركت حـجم ودلالة المـثل القائل: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت". بعد سبع ساعات رفعت المجلة من على النت فضيحتها المؤسفة المخجلة ، لكن بعد ان سجلتها عندى وقرأها الناس ، ولكـن فى الأسبوع التالى تم تخـصيص الغـلاف وكلمة رئيس التحرير ورفاقه أعضاء جماعة "إذا لم تستح" تحت عنوان كبير هو "فيلم سيد القمنى". لتأكيد أنى أفعل كل هذا بقصد الشهرة!! وأنه لا إرهاب هناك ولا هم يحزنون ، وأن جماعة الجهاد قد تم القضاء عليها فى مصر منذ زمان ولا وجود لها. وأعادوا الإستشهاد على ذلك كمال حبيب المدان بالقيام بأعمال إجرامية إرهابية ، وبمحامي الإرهابيين منتصر الزيات ، بينما يعلم رئيس تحرير المجلة (الرقيب سابقاً) ، أنى لست بحاجة لهذه الشهرة ، فالحمد لله كتاباتى معلومة لدى قرائى الموافقين والمعارضين بجديتها ورصانتها ، واحترامها لذاتها وللناس ، ولمصالح الناس وللوطن ، ومستقبل الوطن ، ولم أسع يوماً لأكون رئيس تحرير لأى شئ ، ولم أطلب يوماً عضوية فى أى جهة ، لا أهلية ولا حكومية ولا حزبية ولا حتى فكرت بتسجيل نفسى باتحاد كتاب مصر ، مُصراً على حرية قلمى من أى قيود أو ضغوط ، مكتفياً بسعادتى بين أولادى.

المضحك المبكى أنى بأعمل شهرة لنفسى وأنا مقبل على الصمت والتوقف عن الكتابة والنشر ، يعنى شهرة للاشيئ؟! شهرة للصمت؟! نكتة سوداء قبيحة تليق بمن أطلقها ، وبمن كررها وظل يكررها ممن يزعم الليبرالية و الذى ينـصب نفسة مشيخة اللـيبراليين الـعرب ، دون أن يشعر لحظة بفداحة ما يرتكب على كل المستويات ، بما فيها الأخلاقي وهو مناط اعتزازنا نحن الليبراليين.

ولد القلق فى الليلة الرابعة على تبليغ جهات الأمن ، والتى يجب أن تسألوها ماذا فعلت أكثر من زيادة خفير تم سحبه بعدها بأيام؟ ولماذا لم يقابلنى منهم أحد إلا بعد مرور أكثر من شهر ، ودون أى نتيجة ترتبت على هذا اللقاء ، رغم قسمهم المغلظ بأنهم سيقبضون على الإرهابيين خلال أيام. و فى الليلة الرابعة السوداء جمعت عيالى حولى وصارحتهم بالموقف وأطلعتهم على ما جاء على بريدى الإلكترونى ، وموقف مجلة "روز اليوسف" ، وموقف الأمن. لحظة الرهبة ولدت فى تلك الساعة.... كم كان هلع أطفالى وذعرهم وما رأيته فى عيونهم الغا ئمة وراء

الدموع ، والزائــغة هلعاً على أبيهم ولـــــهفاً عليه... سجـــدوا على الأرض يقـــبلون أقدامى ، يستصرخوننى أن أفــعل المطلوب منى ، وأنشــر البيــان الذى أرسلته لروز اليــوسف ولم تنشره ، ضربوا رؤوسهم بالأرض وبالـــحوائط حتى أدموها ، وأنا متــردد ما بين إشفاقى عليهم وبين خطورة مثل ذلك القرار. هنا وفى حالة إفاقة عصبية هستيرية إتهمتنى طفلتى (**نفرتى**) بالأنانية و "أنى عايز أجيب أجوان فى الإسلاميين" بغض النظر عن حياتى التى هى عمود أسرتى.

حاولت أن أشرح ان الموضوع أكبر من أسرة وإنها ليست أجوانا إنما قضايا مصيرية ، لأنها قضية الناس فى هذا الوطن ، وأنى لن أتراجع فى نهاية عمرى. قالت (**سلوى**): وما أشد قسوتها عندما قالت ، وهى من كانت الحضن الحنون فى الشدائد: "هوة احنا مش من الناس فى هذا الوطن؟ ما نشبهش الاقباط فى أبحاثك؟ هوة احنا مش من جنس المرأة إللى بتعتبرها قضية ليك؟ ما نصلحش قضية ليك بالمرة؟ هوة انت مش شايفنا خالص؟ كل ما تتكلم تقول فلذات أكبادى!! هل هذة الطفلة الصغيرة إللى لسة محتاجة لرعاية الأب ما تصلحش قضية ليك؟" ثم كانت حجتهم البالغة عندما عادت **إيزيس** للماضى القريب تذكرنى بما حدث لعمو فرج (تقصد فرج فودة) ، و ما حدث لزوجته وإبنه احمد اللذين أصابهما الجنون بعد فقد رب الأسرة ، وبعد ما واجهوه من قسوة البشر؟ وولدة الأكبر ياسر الذى لم يحتمل موقف المجتمع منة ومن أبيه فاختار أن يلحق به؟ وكانت الحجة قاطعة فى الموقف وراجحة أمام أى قضية ، وولد الخوف..... ساعتها. خوف أن أفجع عيالى فى أبيهم ، كما حدث للحبيب الغائب الــحاضر دائماً وأبداً ، عطر السيرة ، الصديق الجميل ، الإنسان الشفاف كأطفال الملائكة... (فرج فودة) ، ولأسرته المحترمة والجميلة التى دمرها موت عائلها ثم تكفل المجتمع (**ويا لقسوتك يا وطن**) بالإجهاز عليها من بعده. بينما أقسمت إيزيس أننى عندما أنزل القبر فستكون بصحبتى ، أما الأهم ، فكان تصورى ماذا سيحدث لهم من بعدى فى هكذا وطن وبين هكذا بشر حتى لو قرروا ان يعيشوا بعد مقتل ابيهم؟.

وما لم يلحــظه رجال الأمن ، أو تجاهلوه ، أنه بعد نشرى بيان التوقف عن النشر انفجرت شرم الشيخ ، ببيان من جـماعة الجـهاد المصرية تعلن مسؤليتها عن الحدث ، وهى الجماعة التى أنكرت روز اليوسف ومحامى الإرهاب الإرهابى منتصر الزيات وزميله الإرهابى كمال حبيب وجودها فى مصر بالمطلق. (علما أن المحكوم بالأرهاب كمال حبيب هو عضو مؤسس فى تلك الجماعة). والسؤال الأخطر هنا هو: هل كان ممكناً أن تنفجر شرم الشيخ ، وبعدها مدينة دهب ، وبعدها العريش ، لو تم الربط بين رسائل الجهاد التى وصلتنى من مصر وبين رسائل القاعدة القادمة من العراق؟ ولماذا لم يتم أخذ الأمر بجدية؟ ويوم كتبت فى روز

اليوسف قبل كل هذا بشهور يوم تفجيرات طابا ، موضوعاً بعنوان (**إنها مصرنا يا كـلاب جـهنم**) ، حذرت أن الجهاد الذى أعلن مسؤولـيته عن ضرب طابـا هو حقيقة ، رغم إنـكار الجميع أن يكون موجوداً ، ومع إصرارا الداخلية عل أنها قد قضت عليه بالتمام والكمال. وقلت: إن هذا الجهاد هو ذات الجهاد القديم أيقـظته مغامرات القاعدة ، وأنة قد أصبح فرعا للقاعدة فى مصر أو حليفا محليا لها ، هذا بينما كان الرقيب وزملاؤه من أعضاء جماعة (إذا لم تستح) يؤكدون وفى نفس العدد ، أن الجهاد قد قضى عليه فى مصر مع إنكار تام أن يكون فى مصر أى خلايا قاعدية. رغم مايـحدث من تفجيرات متتالية تحصد الأبرياء حصداً. ولمزيد من الإنكار تحولت الداخلية إلى إتهام بدو سيناء على التعميم ، ممـا يشير إلى إتهام جزء كامل وعزيز من شعب مصر بالعمالة. ولمزيد من التأكيد شنت الداخلية حملات واسعة مهينه على بدو سيناء المهمشين أصلاً ، والمهملين طوال الوقت ، لتأكيد نظرية أن الجهاد إنتهى بمصر ، وأن من يقوم بهذه الأفعال هم بدو سيناء على المشاع.

ثم كان الخيار الثالث هو الهجرة ، والتى تيسرت لى فوراً لعدة بلدان بعروض كريمة سخية ، سعى فيها قراء لا أعرفهم بأريحية كانت البلسم المداوى لجراحى ، وهم من يستحقون هنا إمتنانى العظيم وتقديرى لما سعوا فيه ، وجهدوا عليه جهداً مـخلصاً وكبيراً ومـحترماً.

لكن مسألة خروجى من مصر مهاجراً ، كان يقف دونها ارتباط من نوع خاص بينى وبين مصر ، وحالة عشق كانت تتسبب فى إصابتى بما يسمى (هوم سيكنس) فى حال سفرى لبضعة ايام ، رغم كل ما فيها من بؤس وكـوارث متلاحـقة تقع على رأس أمثالى تحديدا. بل ان المعاناة اليومية كانت دوما هى القوة الدافعة لعملى وهى المفجرة لطاقاتى ، وليس معنى ان نعانى ان نترك الوطن ونهاجر عملا بالنصيحة: ألم تجدوا ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فالمعاناة أدعى للتشبث بالوطن والعمل على تغييرة من اجل رفع المعاناة فيه عن المواطنين وليس الهرب منة الى ارض اللة الواسعة ، حيث ستكون الكتابة فى الأرض الواسعة رفاهاً وترفا لا تعيش الواقع فى موطنها ولا تنفعل به. هذا اضافة الى الجانب الشخصى وهو حالتى الصحية والتى لا تحتمل أن أعيش وحـدى وأرعى نفسى بنفسى ، مع ما ينتابنى من غيبوبات تؤدى أحياناً إلى سقوطى متهاويا ، مما كسر أضلاعى ومزق كتفى عدة مرات ، ومن ثم كانت فكرة الهجرة هى الفكرة المستبعدة من البداية.

واستمر وجع عيالى لما كانوا يقرأونه منشوراً عن أبيهم ، حتى وصلوا للتساؤل عن مدى إستحقاق هكذا وطن لكل هذا العذاب؟ وأخذوا يفقدون الثقة بوطنهم وبأى قضية

تعلموها ، مع الهجوم المريض من الكتاب المحسوبين على الليبراليـــة ، بعدما توقفت عن الكتابة. ورغم ذلك فإنى تركت كتبى تباع بالأسواق ولم أسحبها من الموزع أو الناشر ، وهى تباع حتى اليوم. وكذلك لم أمنع أى جهة ناشرة سواء شرعية بالإتفاق مع المؤلف ، أو غير شرعية بالسطو على أعمال المـؤلف ، سواء ورقية أو الكترونية ، من نشر دراساتى وكتبى ، ولا حتى احتججت على ذلك.

ثم جاءت أخر المواجع من سعادة المستشار ، وكم كنـت مزكـيا لهذا الرجل فيما كنت أكتب تزكيه للمبدأ ، حتى لو سقط صريع نزوات لا تعنينى. إنتـــــهز سعادتة زفة مولد تجريس (القمنى) وصمته عن الكلام والكتابة ، ليتهمنى غمزاً بالتجارة ، ولمزاً بالأكل على كل الموائد ، إضافة بالطبع إلى جبنى العلنى وفزعى من التهديد ، مُضيفا أنة هو الأسد الهصور الذى لا يهاب ، بينما صراخه وعويله على حرسه يمـــلأ الآفاق. المصيبة فى قولة: إنى رغم فزعى فأنا طالب شهرة؟!! فكيف يلتقيان؟ يعنى أنا من فبرك الحكاية طلبا للشهرة ، ثم فزعت خوفا من التهديد الذى كتبته بنفسى لنفسى!! هو نفس ما قال شيخ الليبراليين !! رحم اللة الشيخ الحقيقى لليبراليين العرب (فرج فودة) الذى عمد مشيختة بدمه ، وهو دم لو تعلمون كم هو عظيم ونظيف ، ولم نعهد عنه أبداً إلا الوقوف بعقله وروحه وقلبه مع أنصار الحريات فى ما كانوا يتعرضون لة من محن ، لذلك هو دوما طيب الذكر بيننا جميعا.

لقد كان كلام المستشار بالذات هو الصدمة الموجعة لعيالى لكثرة ما زكيته لهم ، كـــما سبق وزكيت شيخ الليبراليين (كما يحب أن يوصف) ومدحتة على قناة "الحرة" وأثنيت علية ثناء حاراً. فـكان جـزائى مـنة سلسلة من المقالات كان أولها كما تذكرون (سيد القمنى: بئس المفكر الجبان انت). رغم ان بيوت سادتى هؤلاء كلها من زجاج او هما بالأحرى رجال من زجاج. وكان المفترض أن اخذ منهما ثأرى هنا ، لكنى لا أريد مزيداً من الثغرات بالبيت الليبرالى ، وحتى لا أنصرف عن الجهد الحقيقى إلى معارك جانبية ، قد تشفى منهم صدرى ، لكنها لن تعود سوى بالمضرة على القضية الأسمى.

وبعد الترهيب ، أبداً لم أخضـــع للإغواء والترغيب ، ذلك الترغيب الذى بدأه الشـــيخ الدكتور **عبد الـصبور شـاهين** بالتليفزيون علناً فى دعوة مفتوحة ، لتسخير قلمى الذى أثنى عليه ، من أجل الدعوة الإسلامية ، حتى أكسب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. ومثلاً لسعادة الدنيا قال: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" ، وهى عبارة للنبى قالـــــها لعمرو بن العاص الذى تأخر إسلامه حتى بدأت بوادر فتح مكة ، فذهب للنبى يقول إنه إنما جاء مؤمنا وليس طامعاً فى

مال أو مغـنم. فأرسله النبى فى غزوة وقال له: "اذهب فازغب لك زغبة من المال ، نعم المــال الصالح للـرجل الصالح". كانت دعوة الشيخ عبد الصبور رشوة علنية فصيحة ، لأزغب لى زغبة من المال أحقق بها سعادة الدنيا ، ببلهنية العيش الطرى وطراوة العيش الهنى ، ومن بعدها سعادة الآخرة فى جنة عرضها السماوات والأرض ، وأكون قد كسـبت بذلـك سعــادة الدارين. وبعد الشيخ عبد الصبور تتالت الدعوات السـخية من كــافة الأطراف الإسلامية ، تعد بدورها بسـعادة الدارين. وهنا أيضا لا تفهم كيف أمكن لهذة العقول على كثرتها أن تتصور توقفى عن النشر تحت الإرهاب العلنى هو انتقال إلى الجهة الأخرى؟!!!!! ورغم عروض زغب المال الصالح لأكون رجلاً صالحاً ، **فإنى فضلت أن أكون كما أحببت وكما اخترت لنفسى ، وأن أشتغل عند نفسى فقط كما كنت دوماً** ، ……………… لكن ما حدث بعد ذلك كان هو الأسوأ!!.

فى مغامرة تصورت أنى سأزيـد بها دخلى ببعض المــال الحلال دونما غزو ولا زغب ، قمت بوضــع كل ما أملك فى طبـاعة كل أعمالى السابقة ، وسلمتها للسيد **خالد زغلول** صاحب دار مصر المحروسة ، كأمانة توزيع بوكالة تعاقدية نظير أجر. كما تعاقدت معه على نشر ثلاث كتب لى ، ثم جاءت الأحداث و الإنذار والتوقف عن الكتابة ، ليستثمر زغلول الموقف لعــمل دعاية رخيصة لداره ولنفسه ، فى ظل سكوتى ورفضى أى لقاء صحفى أو تليفزيونى. وظل يقابل كل من يطلب كـلامى ليقول هو ما يريد بابتذال أساء لى أكثر ، ولم أتمكن من إيقافه حتى حقق مراده. وبعدها بدأت الدفعات المالية المتفق عليها تتبــاعد وتقل حتى توقفت تماماً ، وهى دفعات من حقى فى الكتب الثلاث التى نشرها لى ، ولم تكتمل حقوقى فيها ولم يــزل لى فى ذمته مستحقات لم يسددها بعد. أما ما دفعت فيه كل ما أملك أنا وعيالى وسلمته له لتوزيعه ، فلم يصلنى منه مليــم واحد. وفى رحلة استجداء بائسة تعسة سعيت فيها مرات ومرات وراء عشرات الأماكن التى يتواجد فيها ، ليهرب مرة ، ويلقانى مرة لكن دفتر شيكاته مش معاه ، إلــى أن أنـذرنــى هــو بالتوقف عن مطاردته حيث لم تعد لى بعد أى حيثيه استند إليها للضغط عليه ، وأنه راجل مسنود وأقاربه فى سلك النيابه وأمن الدولة ، وأنى ما ليش عنده ولا مليم ، وأعلى ما فى خيلى أركبه ، ولما لم يكن عندى خيل لأركب أوطاها ناهيك عن أعلاها ، فقد رفعت علية قضية خيانة امانة بمحكمة عابدين برقم٥٢٤٩ ودعوى مطالبة عن مستحقاتى عن عقود نشر ٣ كتب برقم ٦٦٠٤ ، ومن يعلم شؤون التقاضى فى مصر ، وما تحتاجه من صرف غير رشيد من محامين وخبراء ورسوم وعمر مديد ، يعلم حجم مصيبتى الكارثية

وهكذا توقف أولاً دخلى من الكتابة فى الدوريات داخل مصر وخارجها بعد بيان التوبة ، ثم توقف دخلى من مؤلفاتى بعد أن اسـتولى عليه خالد زغلـول صاحب مصر المحروسة ، حتى أشرفت على هلاك أنا وعيالى ، ولـم يبق سوى أن أفكر جديا فى البقاء بأمريكا كمهاجر ، بغض النظر عما يمكن أن أعانى فى مشارف الستين بأمراض عضال...... ومن الإنذار القاتل ، إلى شيخ الليبراليين ، إلى الأسد الهصور ، إلى مصر المحروسة..... كانت رحلة مفكر مصرى أراد لنفسه الإستقلال ليقول كلمته حرة من أى ضغوط ، فكانت محطاتها... من الـذل... إلى الحـاجة .... إلى الـــهوان.. فإلـــيـــك يـــا وطنـــــــــى .... الـــمـُشـــتـــكـــــــى ، إليك شرفى المغدور بادعاءات رخيصة ممن كنت أزكيهم وأحتسبهم العون و الملاذ عند الشدائد ، إليك يا وطنى أرفع الشكوى لمعاناة عيالى فى رحلة عذاب طويلة دونما ذنب لهم سوى أنى أبوهم.

إليك يا تـــرا ب مـــــــــصـــــــر......... أشــــــــكــــــوك ، إليك أيـــها الطـــاهـــر ....أرفـع عذاباتى وذلـى وضعـفى وهـوانى عـليك ،

١٠/٧/ ٢٠٠٦

شيكاجو – أمريكا

بعد قضاء حوالى الشهرين فى أمريكا مع تجربة هى بحد ذاتها محنة لا يعرفها أويكابدها إلا عشاق الوطن ، مع ما كان متوقعا سلفا من عدم احتمال جسدى العليل للعيش وحيدا ، قررت العودة الى بلادى ، مع قرار مغامر وربما كان انتحاريا ، بالعودة الى الكتابة والنشر والمشاركة فى قضايا بلادى من داخل بلادى ، لأنى مع التوقف عن العمل ازداد انهيار صحتى بتسارع أعلى.

قلت فى بيان التوقف عن النشر أن هذا التوقف سيكون بالنسبة لى موتا بطيئاً فإذ به يأتى سريعا ، وأدركت أنى أموت اختناقا ، أموت موتا فطيساً ورديئاً. وعقدت لأسرتى اجتماعا شرحت فية حالى الذى كانوا يرونه بأعينهم ، مع طرح رغبتى المصيرية بالعودة للكتابة والنشر للمناقشة. واستمر النقاش والأخذ والرد شهوراً أخرى حتى تمت الاستجابة لمطلبى مع تردد وتحفظات قائمة حتى يوم نشر هذا الموضوع.

وهنا لا بد من قول واضح وصريح فى بيان للناس وهو: أنى أعلق دمى برقبة الحكومة المصرية التى عليها أن توفر لى ولأولادى حماية مناسبة كالتى توفرها للسادة من كبار المتنفذين ، الذين يتقاضون رواتبهم من جيبى ومن قوت أولادى ضرائب ، دونما سبب واحد واضح لتلك الحراسات الكبيرة والمهيبة التى تسبق مواكبهم وتلحقها. بينما شخصى الضعيف هو من أعطى هذا الوطن ما يعلم وما تعلم رخيصا بلا ثمن سوى الوله به ، وبالحب وحده ، ودون أن اكلفه شيئا سوى أن أعيش فية كريما ما أمكن ، و دون مكرمة منانة من أحد ، وأن يتوسدنى ثراه الطاهر بعد مماتى ليضم عظامى إلى جوار رفاة أبى وأجدادى ، .... لا أن يضعوا لى حراسة شكلية من الحرس الريفيين شبة الأميين ، الكارهين ، كما هو حادث. والمطلب الملح الآن هو أن يعلن المسؤولون الأمنيون تكفلهم بتوفير هذة الحماية المحترفة المدربة الكفوءة بشكل فصيح وعلنى وواضح بلا إلتباس ، مع إعلان مسؤليتهم الكاملة عن حياتى حتى يقضى الله أمره. وهى الخطوات التى لو تمت مبكرا ما اضطررت لما حدث ، وهوالأشرف لى ولبلادى ولهم ، من أن أعيش فى كنف وحراسة بلاد أخرى لمجرد أنها تعرف قيمة الإنسان. فهلا عرفت يا وطنى قيمة الإنسان؟ وهلا رفقت يا وطن لعاشق يهيم بك متيما؟ أم ستظل طارداً لمحبيك قاسيا لا ترحم؟

بهذا الموضوع وبمجرد نشره أكون قد رفضت التهديد الإرهابى وأكون قد ألقيته فى وجه مرسليه مصحوبا بالاشمئزاز والتقزز بل والقرف ، مع التحدى أن يكونوا على قدر ما أسـوق بوجوهـهم من منـطق واضح إن كانـوا أهلا لهذا ، وأكون قد شرعت قلمى فى

مواجهة فقهاء الظلام مرة أخرى. وإن كان من الموت بد فإنى أعلق دمى برقبة الحكومة المصرية كلها ، وبرقبة وزارة الداخلية خاصة ، ثم برقبتك أنت أيها المعشوق الأجمل.... برقبتك يا أجمل الأمكنة بين كل الأمكنة...

يا وطـــن....

القاهرة - مصر المحروسة أبداً

٣٠ / ١٢ / ٢٠٠٦

elqemany@yahoo.com

الرد على نهضة مصر

من (الشبه) إلى (أبى سعدة) عظم الله أجركم فى الديمقراطية وحقوق الإنسان !!

خصنى عدد الثلاثاء ٢ فبراير ٢٠٠٧ **من صحيفة نهضة مصر** بعنوان كبير وبموضوع خبرى بالصفحة الأولى ، وبتعقيب من رئيس تحرير الصحيفة بآخر صفحة. أعرض هنا ما جاء بها :

أولاً / عنوان رئيسى للصفحة الأولى يقول : "القمنى يعود إلى الأضواء بهجوم انتحارى ضد الشريعة الإسلامية ويتهمها بالتمييز ضد الأقباط و بين المسلمين". ثم الخبر الذى جاء تحت عنوان بالبنط العريض "أبو سعدة يتحدى القمنى أن يهاجم الشريعة علناً أمام الناس" ، وقد كتب الخبر الصحفى **محمود بسيونى** وقال فيه : " فى أول ظهور جماهيرى له بعد اختفائه لمدة عامين وامتناعه عن الكتابة أثر زعمه تهديدات بالقتل ، شن الدكتور/سيد القمنى هجوماً عنيفاً على المادة الثانية بالدستور المصرى والتى تنص على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى للتشريع. وقال القمنى فى تصريحات وصفت بأنها انتحارية قد تهيج عليه الرأى العام. . أن الشريعة تنطوى على أوجه تمييز ضد الأقباط والمسلمين من غير أهل السنة ، وأضاف بأن الشريعة من صنع البشر وليست منحة أو تكليف للحاكم.

ومن جانبه اعترض حافظ أبو سعدة الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان على ما قال القمنى وأكد أنه لا يمكن الحديث بهذه الصورة عن الإسلام أمام المواطنين العاديين وتحداه أن يفعل ذلك فى الشارع قائلاً : أن الهجوم على الشريعة الإسلامية ليس مدخلاً صحيحاً للمطالبة بتعديل المادة الثانية من الدستور".

ومن المفيد أن أؤكد هنا أن الخبر على صورته تلك قد جاء بسوء فهم وخلط وخبط إضافة إلى عمليات قص ولصق جعلته أبعد ما يكون عما قلت فى المائدة المستديرة بمركز حقوق الإنسان ، وقد يكون مرجع ذلك ضعف ثقافة الصحفى الإسلامية والسياسية ، خاصة وأن مثل تلك الندوات تكون مسجلة صوتياً والتسجيل يكون هو الفيصل فى صدق الخبر من كذبه ، ولكن الواضح مع نهضة مصر أن المسألة ليست مجرد ضعف ثقافى ، لأن السيد محمد الشبة رئيس التحرير ولاشك قد استمع أولاً لتسجيل الصحفى الذى نقل الخبر خاصة مع حملة التشويه تلك ، فإنه قام يدعم الخبر بشن هجمة بألفاظ ونعوت تليق بة ، على شخصى المتواضع ، أقتطع منها النماذج الآتية لبيان ماوصل إالية أدب الحواروالإختلاف فى بلادنا:

يقول الشبة "لماذا أختفى ولماذا عاد هذا المشوش المدعو سيد القمنى. . وأنا عاتب بشدة على حافظ أبو سعدة وكل من دعاه للخروج من عزلته المسرحية لكى يجلس على مقاعد المفكرين يفتى وينطق كفراً بعد أن سكت دهراً. ولن يغفر لحافظ أبو سعدة رده عليه فى الندوة بأنه يتحداه أن يطعن فى الشريعة الإسلامية علناً أمام الناس فنحن كنا فى غنى عن هذا الطيش وهذه الفجاجة. وهذا الخرف الفكرى. . .. أن سيد القمنى كان قد أختفى قبل عامين بعد مسرحية مثيرة. . غير أنه عاد هذه الأيام فجأة ليهاجم بشراسة صلب العقيدة الإسلامية فى مسرحية جديدة وغريبة وكأنه قرر أن ينتحر فكرياً بدون سبب مفهوم. ... إن سيد القمنى حالة عقلية شاذة لا أظن أن مكانها فى ندوة محترمة تناقش ما يتعلق بمستقبل البلد ". أ.هـ.

ولأن كل أناء ينضح بما فيه فلن أهبط لهذا الدرك والمستوى فى الحوار ، عملاً بقول رسول الله (ص) : داروا سفهاءكم ، وعملا بقولة تعالى : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما. ومن ثم سيعف قلمى ولسانى عن مخاطبة نهضة مصر بمثل خطابها ، بل أقول لها : سلاماً ، لكن ما سأناقشه هنا هو مدى سلامة الخبر دون تعقيب على (الشبه) وبعيداً عن الإهانات المتعمدة والتشويه المقصود عن رغبة مبيتة. وسأتعامل مع الموضوع على ثلاث مستويات.

المستوى الأول : أن يكون الخبر صحيحاً تماماً وهو غير ذلك بالمرة.

المستوى الثاني : هو الرد على السيد حافظ أبو سعدة الذى لم يدعونى لهذة المائدة البحثية ، وإنما من دعانى هو مركز القاهرة لحقوق الإنسان الأستاذ/**بهى الدين حسن** ، وكان حافظ ضيفاً مثلى مثله ، إضافة إلى أن الخبر مصاغ فى شكل سيناريو يفيد أن أبو سعدة قد شن هجومة على شخصى الضعيف فى حضورى وهو أيضاً ما لم يحدث ، فقد انصرفت عند اقتراب نهاية الندوة والتعقيبات ، ولم أسمع ما قال أبو سعدة ألا عندما قرأتة منشوراً بنهضة مصر.

المستوى الثالث : هو بيان ما قلت مطابقاً لما سجلته أجهزة التسجيل بصوتى. مع تقديم الشروح اللازمة لمن لا يكادون يفقهون قولاً وأصبحوا بالصدفة أصحاب أقلام ورؤساء تحرير فى زمن أغبر.

أن قول الخبر إنى اتهمت الشريعة بالتمييز ضد المسيحيين وضد المسلمين من غير أهل السنة ، فيبدو لى أن السادة الصحفيين ورئيس تحريرهم لا يعلمون أن الله هو من قال بتمييز المسلم عن غير المسلم فى آيات قرآنه وفى أحاديث رسوله (ص) وليس العبد الفقير إلى الله ، وأنهم إذ رأوا فى تفرقة الشريعة بين المسلم وغير المسلم بإطلاق تهمه ، فهذا إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة ، فحضرات السادة لا

يستمدون ثقافتهم عن دين يؤمنون به من الإسلام ، ولكن من داخل أمنياتهم وتصوراتهم وليس عن معرفة به ، وأن آيات القرآن تتلى على الملأ فى الإعلام كله وفى كل ميكروفونات مصر تؤكد هذا التمييز والتمايز ، فهلا هاجموا تلك الأجهزة غير المشوشة قبل مهاجمة شخصى المشوش؟

وإذا كان القول بالتمييز فى الشريعة مثيراً إلى هذا الحد فلماذا لا يفعلون شيئاً إزاءه مع ميكروفونات المساجد والزوايا وشاشات وراديو وصحف الإعلام المصرى؟. تهاجم أشقاءنا فى الوطن من كل لون وملة بل وتكفرهم علناً إن لم يكونوا على ذات الفهم السلطانى والإرهابى أيضاً للإسلام ، وهل يستطيعون أن ينعتوا القرآن بما نعتونى به لأنه هو من قال وهو من فرق وميز وليس العبد الفقير ، أم أنهم عندما يسمعون عبر التلفاز أو الميكروفونات بعدم الاعتراف بعقائد الآخرين وتسفيهها وتكفيرها ـ وهؤلاء الآخرون من شعب مصر مثلنا يسمعونه بكره وعشياً ـ لا يفقهون ، وإن فقهوا لانسمع منهم مثل تلك السخائم ليقولوا فيه قولاً ، بدلاً من قولهم لى. أصبحت التغطية على الحقائق الواضحات والتلبيس على الناس مهمة إسلامية ، وأصبح الكذب هو السبيل إلى الدفاع عن شريعة الإسلام.

أما قول الخبر أنى قلت أن الشريعة الإسلامية تميز بين المسلمين والمسيحيين وبين المسلمين السنة وغير السنة ، فهو ما يحيلنا إلى صدق ما قلت ، إذ كنت لا أتحدث عن الشريعة الإسلامية ، إنما عن المادة الثانية من الدستور التى تجعل دين الإسلام ديناً للدولة ، وهو ما ينفى رعوية الدولة عن المسيحيين المصريين لأن دينهم غير معترف به فى الدستور ، وأن المادة الثانية تقوم على تقسيم طائفى لا مدنى ، وأن المادة تنفى ضمناً كل المسلمين من غير أصحاب المذهب السنى مثل الشيعة وغيرهم من فرق ، بدليل تعرضهم لمشاكل أمنية مستمرة وكذلك البهائيين وغيرهم. رغم أنهم جميعا مواطنون يجب أن يقفوا فى ساحة الوطن على قدم وساق وبمساواة تامة حقوقاً وواجبات. وبهذا وحده يمكن فهم ما كتب الصحفى من كلام ملخبط ، لأن الشريعة الإسلامية لا تميز ضد المسلمين (كما قال أنى قلتة) إنما تميز فقط ضد غير المسلمين ، أما المادة الثانية بالدستور فهى من يميز هذا التمييز. فلم يكن الحديث هنا عن الشريعة الإسلامية ، لكنة كان عن المادة الثانية بالدستور.

نتابع الخبر إذ يقول : "و أضاف (أى سيد القمنى) بأن الشريعة من صنع البشر وليست منحه ولا تكليفاً للحاكم". و هذا كلامه لا أعرفه ولم أقله ، لو سمعته من شخص لفهمت أنه مشوش بالفعل فهو كلام مختل وبلا قانون رابط يؤدى إلى معنى مفيد ، ومثلى لا يلقى مثل ذلك القول ، هذا كلام يليق بنهضة مصر لكنه لا يليق بى.

كنا نتحدث عن دستور مدنى وعن تعديل أو إلغاء المادة الثانية بالدستور ، وقد قلت أنه على المستوى الدستورى وما نفهمه من الدساتير ، أن الشريعة (بمعنى القانون) هى ما نضعه نحن بأيدينا من قوانين حسب ظروفنا ومصالحنا ، عبر المجالس الشعبية المنتخبة لذلك تسمى مجالس تشريعية ، لذلك هى ليست منحة ربانية ولا عطية ملكية. وما أبعد هذا القول عما كتبت (نهضة مصر) أو عما فهم الصحفى الهمام. و هكذا فأنا لم أهاجم الشريعة الإسلامية لأنها عندى ليست محل هجوم بل هى محل درس وفهم وتحليل ، وأيضاً محل نقد إن حاولوا استدعاءها اليوم ، نقد بمفاهيم اليوم ، ليس للشريعة التى هى ربانية صادقة مع زمنها وظروف ذلك الزمان ، والذى كان فيها العالم كله يتعاطى العقوبات البدنية والتفرقة بين الناس على أساس المعتقدات الطائفية أو العنصرية ، وإنما لينصب النقد على استدعائها اليوم وليس عليها فى ذاتها ، وكثيراً ما كتبت ونشرت مثل هذا الانتقادات عبر السنوات السوالف.

وربما صدق الصحفى ورئيسه لو استخرجا ذلك مما سبق وكتبت ونشرت ، ولكان هو الأوفق ، لأنه لم يكن مناط حديثى بالمرة فى تلك المائدة المستديرة.

بل وقلت ما لم ينشره الصحفى ربما لأنه من وجهت نظره شيئاً فادحاً ومستفظعاً وقادحاً فى حق الشريعة بما لايسوغ نشرة ، أعلنه هنا لأن الإسلام هو من علمنا أنة لاحياء فى الدين ، فكان مناط كلامى عن فكرة الدولة الدينية الإسلامية ، و **أن الإسلام لم يأت ليقيم لله دولة** ، لأن الله أن إراد ذلك لأقام أعظم دولة فى تاريخ الكون كله إلى أبد الآبدين ، و **إن الإسلام جاء ليهدينا إلى معرفة الله وليس لإقامة مشاريعنا السياسية** ، بدليل اهتمام الإسلام بكل شاردة وواردة فى حياة المسلم فقال فيها وفصل ، وأحيل هنا إلى قول المرجع الإسلامى الشيخ يوسف قرضاوى إذ يقول : "إن الإسلام رسالة تشمل كل جوانب الحياة من أدب الاستنجاء إلى بناء الدولة / قناة الجزيرة فى ٢٠٠٥/٢/٢٠".

و من ثم كان قولى بالندوة المذكورة أن الإسلام قد أهتم بأدب الاستنجاء وبنظافة الجسم كله حتى مؤخرة المسلم فى بيئة شحيحة الماء ، والدين لا يستحى من ضرب مثل بعوضة فما فوقها من أجل التعليم لكل شأن لتهذيبه ، ووصف لنا طريقة الاستنجاء بالتفصيل ، بأحجار ثلاثة للنظافة لها مواصفاتها التى يتم تدريسها بمادة الفقة بثانوى أزهر ، مثل أن يكون الحجر جامداً قالعاً محترماً ، وسبق وناقشته مناقشات مطولة ، وأنة رغم كل هذا التفصيل فى أدب الاستنجاء ، فإننا لا نجد له مثيلاً واحداً ولو بالتورية عن شكل نظام الحكم فى الدولة الإسلامية ولا طريقة

الوصول إلى الحكم. فهل غفل الله تعالى ونبيه عن ذلك؟ بينما تنبهت له الدولة فنصت عليه فى دستورها ، وتنبه له الأخوان فقاموا يريدونها دولة إسلامية؟.

أدهشنى أن بعض الحضور أصابه الضحك من هذه المقارنة المقصود منها بيان مدى التفصيل الإسلامى فى جوانب حياة المسلم مقابل لا شئ يتعلق بالدولة وأنظمة الحكم ، ولست مسئولاً أن يضحك البعض فيستفز ضحكهم الصحفى أو الأستاذ أبو سعدة ، لأن ضحكهم قد انبنى على التعامل مع مسألة الخلاء والاستنجاء من مقعد البورسلين الإيطالى والرخام السويسرى فى حمامات ترتوى من اكبر نهر فى العالم ، بينما يجب أن نقرأة بظروف زمانه ومكانه وعندها لا نجد فيه ما يضحك ، لأنه كان تأديباً وتهذيباً ونظافة للعربى فى بيئة ندرة شحيحة بالماء.

وعندما أتحدث فى محفل علمى مدنى كهذا ، فإنى أفترض فى المستمع قدراً من المعرفة والثقافة خاصة بالإسلام ، وأن يتميز المتعصب من المستمعين لإسلامه بثقافة إسلامية أوسع من قرنائه ، فإذا بأبى سعدة يعتبر ما قلت تهجماً على الشريعة ، وإذ بصحفى نهضة مصر يلتقى معه فى المشاعر ، أكثر مما التقيا على فهم أو رأى واضح يهدم الذى قلت ويرده على قائله ، وإذ بهما لا يعلمان عن إسلامنا الذى يدافعان عنه شيئاً. ليأتى الأستاذ (الشابه) ليكمل ملحمة الكذب والافتراء.

هنا لا أخفى دهشتى أن يقول أبو سعدة ما قال بعد انصرافى ، لأنه من أداب المحاضرة ألا تعقب على شخص غير موجود ، خاصة إذا كنت ستختلف معه ، أو إذا كنت ستتعرض له بكلام سلبى. ثم لا أخفى حزنى الشديد لمثل الأستاذ حافظ الذى هو فيما أعلم أميناً لمنظمة ترعى حقوق الإنسان ، وسبق لى أن دافعت عنه دفاعاً حاراً دون أعرفه لمجرد أنه حقوقى إنسانى وذلك فى الباب الأول من كتابى إبن لادن ، وحزنى ليس لدفاعى عنه وهجومه علي بعد انصرافى فى تجاوز لآداب المحاضرة ، ولكن لأن كل ما فهمه من كلامى أنه هجوم على الشريعة ، ولأنه إن أحتسبه كذلك فهو لا يعلم شيئاً عن الشريعة التى يدافع عنها ، أو عليه أن يرد علي ما لم يعجبه ليدينه بمنطق الشريعة ذاته. ولأنه فيما يزعم داعية حقوق إنسانية بينما هو يقول حسبما نشرته الصحيفة أنه يتحدانى أن أهاجم الشريعة علناً ، فالرجل يتحدث هنا بلسان أحد الخفراء البصاصين وليس بلسان داعية حقوق مدنية ، لينكر ويستنكر أن أقول رأياً (أياً كان هذا الرأى) ، ويتحدانى أن أهاجم الشريعة وأنا لم أهاجم الشريعة ، بل هاجمت وبالفعل المادة الثانية بالدستور وطالبت بإلغائها وهى ليست أول مرة أفعل ذلك ، وأن كان ما قلت بشأن الدولة الدينية والمقارنة بين تفاصيل حياة المسلم فى الإسلام حتى نظافة المؤخرة مع عدم وجود أى إشارة للدولة ونظام الحكم قد أزعج السيد حافظ بشدة ، فهو الملوم لأنه لا يعرف شريعته. أما أن

أقول ما قلته علناً فى تحدى يطلبه منى ، فليقرأ عدد صحيفة القاهرة الذى صدر فى ٢٠٠٧/٢/٢٠ ليجد كل ما قلته فى الندوة مكتوباً مدعماً بمصادره الأصلية ومراجعه المعتمدة ، لكن يبدو أن السيد أبو سعدة ممن لا يقرأون ، وهذا يا سيدى كلامى منشوراً فى كتبى عليك أن تحدثنى فيه وتردنى بمنطق العلم والدليل والبرهان والقرائن ، ولا أعتقد أبا سعدة بأهل لهذا ، لسبب بسيط هو أنه أعتبر ما رصدته من حقائق هجوم على الشريعة ، فهذا وحده كفيل بمعرفة مدى ثقافة سيادته.

أضيف مرة أخرى مزيداً قلته ولم يقله الصحفى ، فقد أشار بعض الحضور إلى أن من مبادئ الشريعة الإسلامية قيم كالمساواة ، وهو ما قمت برده وإنكاره ، لأن الشريعة الإسلامية إنما تعرف الإنسان رتباً ومنازلاً وطبقات ، لكل منها حقوق وواجبات تختلف عن بعضها البعض ، فهى طبقات متمايزة مشرعة بحكم قانون الشريعة ، وأنه كما تقول الآيات الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، بل أن دية الحر غير دية العبد غير دية الأنثى. وأن الخليفة عمر قد قام بتقدير العطاء من الفيئى والغنائم والسبى عند توزيعه على العرب ، بعد أن كلف هيئة من النسابة لوضع الناس فى منازلهم أى فى مستويات كل منهم ، فكان سهم بنى هاشم غيرسهم أهل بدر غيرسهم نساء النبى ، ثم أسهم لقريش ثم الأنصار ثم بقية العرب ما بين المضرى والحضرى وما بين العدنانى والقحطانى.

كما تم تقسيم الأمبراطورية حسب قسمة طبقية أخرى هى :

١. الحكام وهم من قريش
٢. والعرب المسلمين
٣. ثم العبيد المسلمين العرب
٤. ثم المسلمين من البلاد المفتوحة وأعطوا لقب الموالى ، ثم اهل الذمة وهم أصحاب الديان الأخرى من البلاد المفتوحة

و لا تستوى مثل هذه الطبقات لا فى الحقوق ولا فى الواجبات ، ومن قال بمثل هذه المساواة فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة.

والمقصد أنه علينا احترام شريعتنا بإبعادها عن السياسة لأنها كانت فى معظمها تخص زمناً كان له ظروفه وطرائقه فى العيش والتفكير ، تختلف بالكلية عن لحظة زماننا واجتماعنا فى مقر يناقش مسألة الدولة وحقوق الإنسان بجاردن سيتى فى القرن الواحد والعشرين ، وليس فى فيافى الصحارى فى القرن السابع ، ولأن مفاهيم مثل المساواة المطلقة والحريات الفردانية والديمقراطية الليبرالية والانتخابات

الرئاسية والتشريعية كلها بنت زماننا اليوم ، ولم يسبق أن عرفها الإنسان ولا تحدث عنها دين من الأديان لأنها لم تكن فى مخزون زمانهم الثقافى

فهل هذا مثلاً ما اعتبره أبو سعدة هجوماً على الشريعة؟ هل أن أعرض بنوداً من الشريعة يكون هذا العرض هجوماً عليها؟ أم أن حافظ لا يستسيغها بمنطق عصرنا فهاجمني أنا بدلاً من أن يهاجمها هي ، هنا الفرق : أنه فى القول العلمى لا مجال لهجوم أو تسفيه أو شتم أو قذف ، أنما ما هو مجال وضع الحقائق كما هى أمام الناس. أبو سعدة زعلان منى لأن الشريعة تفرق طبقياً وطائفياً وعنصرياً ، أى والله يا أبا سعدة أنها كذلك ومن قال غير ذلك إما جاهل جهلاً مركباً وأما هو كذاب أشر على الله وعلينا وعلى الدين ، فأن لم تعجبك الشريعة على حالها فإما أن تعلن ذلك على الناس دون مهاجمتى ، أو أن تعمل على إصلاحها بما يتفق وذوقك وفهمك ، إن أردت ، وإن استطعت !!.

قد اصبح قول الحق فى بلدنا محلاً للعنة والتحريض على القتل ، وأن ما كتبته نهضة مصر كله قول كذوب مرذول مردود ، يحكم فيه فقط ما تم تسجيله بصوتى ، وأن ما كتبته هذه الصحيفة لون من البلاغ فى ظرف يعلم الجميع فيه أنى مهدد بالقتل فى أى لحظة ، هو لون من الدعاية الكاذبة المتخرصة لقتل الشخص معنوياً فى نظر الناس ، حتى إذا ما حدث اغتياله جسدياً لا تقلق ضمائر المؤمنين وتتقبل الحدث ، وهو ما سبق ووصل إليه الدكتور فرج فودة وقالة لى ولحشد من أصدقائنا قبل مقتله بأسابيع ، أن حملة التشهير التى يتعرض لها هى تمهيد لتصفيته جسدياً ، وصدقت توقعات الرجل. يبدو لى أن عودتى للكتابة لم تزعج فقط أصحاب الإسلام السياسى بل أزعجت كل أصحاب المصالح الشخصية على حساب الوطن ممن يتاجرون بالقيم الليبرالية المحترمة فى سوق غير محترم. وأصبحت تصفيتى إعلامياً فيما يبدو هى المقدمة لتصفيتى جسدياً.

ومعنى أن يهاجم أبو سعدة ما قلت ، فهو **ما يعنى أن مناخنا قد أصابة العطب والفساد حتى نخاع دعاة الحقوق المدنية. وما أبأسه وطن لا تستطيع أن تقول فيه حقائق شرعية وفقهية معلومة من الدين أصولاً وشرعاً وفقهاً ، لمجرد أنها غير معلومة من أدعياء الثقافة فية** ، أو أن تقول رأيك حتى لو خالف ما استوى عليه الناس.

أما أن يكرر رئيس التحريرحكاية مسرحية صنعتها بإعلان توقفى عن النشر الفترة الماضية ، فهو ترداد لكلام صديقه وزميله رقيب روزاليوسف الذى أصبح رئيس التحرير ، فهل ينتقم الشبه لصديقه الرقيب بعد ما كشفت دوره فى ما حدث على الملأ فى تليفزيون CNBC وفى تليفزيون المحور مع برنامج ٩٠ دقيقة؟ وهل

توجد مثل تلك النفوس فى بلادنا لتحول قضايا الوطن إلى ثارات شخصية ، حتى لو أدت لقتل أحد الأطراف ، إلى هذا القدر وصلت الشماتة مع قلة الحيلة وضعف الأسلحة المحترمة فى الرد ، فى وقت نحتاج فيه إلى أوسع مساحة للقول بحرية وبصدق وبشفافية لا تجامل حتى نأخذ مكاننا بين بقية الأمم المحترمة. وهل نحن من الكثرة حتى نضحى بأحدنا يا من تزعمون الليبرالية؟ لقد أصبحت قصة ما أسموه فيلم وأحياناً مسرحية سيد القمنى حول تهديدى بالقتل ، شائعة يتم الإصرار عليها وترويجها أولاً فى مجلة تصدر عن الحكومة والدولة هى روزاليوسف ، ثم فى التليفزيونات حيث كانت أول ما واجهنى به المذيعون عند عودتى للكتابة والنشر

وهنا أكرر ما قلته لهذه المحطات الفضائية ، هو أن الأمر عند أمن الدولة المصرى وليس عندى ، وهو من يقول إن كان فيلماً من صنعى ، أم أن التهديد جاء من مصدر شديد الاحتراف عجز عن متابعته إخصائيو الكمبيوتر الذين حشدهم صديقى الدكتور محمود خيال ، يتابعون معاً على الإنترنت ويتواصلون ليلة بكاملها حتى الصباح لينتهوا إلى تقرير مكتوب بشئون واصطلاحات لا أفهمها ولا علم لى بها ، وأنهم قد وضعوا أيديهم على عدة مفاصل ونقلات عبر العالم عبرها هذا التهديد القاتل ، وبقى المفصل الأخير وإن هذه الخطوة ليست فى استطاعتهم بقدر ما هى استطاعة الدولة. وقد سلمت تقريرهم هذا بدوره إلى ضباط أمن الدولة الذين قابلونى بمكتبهم حيث أقيم ، وكانوا قادمين من لاظوغلى هذا إضافة إلى ضباط أمن دولة المكان ، وتدارسوا الموقف وتيقنوا أنهم سيقبضون على مرسلى التهديد قريباً ، فقط يجب عليَ إيقاف الحملة الإعلانية التى ثارت بهذا الشأن لمساعدتهم فى إنجاز عملهم على هذه الرسائل ، وساعتها عجبت أن يقال ذلك لرجل قرر الصمت وعدم الكلام ولا يملك سلطة أن يمنع أو يمنح حق الكلام فى الإعلام. وقد أجبتهم بهذا المعنى ببساطة ، فقد قررت السكوت بينما الكل كان يتكلم ، لكن ما يعزينى أن معظم هذا الكل قد ساندنى وشد من أزرى ، وما يعزينى أكثر أن هذا المعظم كان هوصاحب القلم المحترم من بين كل الأقلام. ورغم أن الأمن طالع ما أتهمتنى به روزاليوسف ورغم مطالعته العاصفة التى واجهتنى تتهمنى نفس التهم ببقية الصحف والمحطات الفضائية ، حتى سألنى مذيع CNBC إذا لم يكن فيلماً والأمن يعلم ذلك فلماذا يتركك فريسة لهذا الإدعاء ، وهو أيضاً ما تكرر فى برنامج ٩٠ دقيقة بالمحور.

السؤال حق وأكرره : لماذا يا أمن؟ لماذا وأنا مواطن (ولاشك وأنتم بما تملكون من أجهزة) الأعلم من بين كل الناس أننى من المواطنين الصالحين ، أعطيت ما عندى وما أعلم لوطنى حباً وكرامة دون أن أكلفه شيئاً ، بينما تكتب أقلام لا تذكر أحياناً ماذا كتبت طوال حياتها ويتم الإسباغ عليها بالرفاة والعز والمكانة. تعلم يا أمن أنى صرفت من ميراثى ودخلى المتواضع من كتاباتى ومن قوت أولادى على ما رايت

أنه لصالح الوطن ، ولم آخذ من هذا الوطن شيئاً غير ما ترى وتسمع ، فلماذا تسكت يا أمن؟ المحكوم بالإرهاب كمال حبيب أول من أطلق هذه الشائعة فهل أنت يا أمن مع الإرهابى؟ لماذا أنت يا أمن ودن من طين وودن من عجين؟.

مرة أخرى أكرر لا بأس عندى بالمطلق أن تناقش كلامى لا أن تهاجم شخص ، وأن تراجع ما أقول إن صدقاً أو كذباً لا أن تسبنى وتصفينى معنوياً ، وأن ترصد مراجعى وتكشف مدى سلامتها واعتمادها من أهل الاختصاص ومدى تزويرى أو تزييفى لنص من النصوص ، لا أن توجه لشخصى الشتائم البذيئة فى حلقة ردح لا تليق برئيس مجلة للفضائح ، لكن أن تفترى كذباً ثم تعلن هذا الكذب للناس ثم تبنى عليه استنتاجات لتصفينى بها جماهيرياً ، فهذا إن لم يكن هو الإرهاب عينه ، فماذا يكون الإرهاب؟ وإن لم تكن هذه جريمة بكل المقاييس؟ فماذا تكون الجريمة؟ وهذا بلاغ للأمن بما جاء فى صحيفة نهضة مصر التى تتخذ لنفسها شعاراً (الليبرالية طريقنا إلى المستقبل). ويا لخسارة الأسماء الجميلة من نهضة مصر إلى الليبرالية طريقنا ، فى المواطن القبيحة !!! أكرر هذا بلاغ للأمن ، بما قد يترتب على هذا الكذب غير المرتب والتشويه والطعن فى الإيمان فى تقدمه قربانية لرموز الإرهاب والتطرف ، ولله الأمر من قبل ومن بعد

زغلول النجار خلل فى عقل المسلمين

منذ دخل العلم الحديث بلادنا , وظهرت طبقة المتعلم (الافندي) , وتراجع دور الشيخ المهيمن علي كل شئون البشر , عرف الشيخ أن العلم الحديث هو ألد أعدائه , ومن ثم كانت سلسلة التكفيرات والتحريمات لمنجزات هذا العلم , ثم في الوقت ذاته سلسلة الاجتهادات للتوفيق بين منجزات العلم المنتصر وبين الدين , بل واثبات سبق الدين للعلم في ميادين لم يكتشفها العلم إلا بالأمس القريب.

و ربما لو نظرنا من عيني مؤمن بسيط غير مشغول بكل المباريات التي يستخدم فيها الدين كوسيلة دعم ودعاية , لرأينا أن العداء المبطن من الشيخ للعلم الحديث لا مبرر موضوعي له , فالعلم لا ينافس الله (جل وعلا عن ذلك علوا كبيرا) ولا ينافس الدين , انما هو يكتشف قوانين الله في خلقه , التي عجز المشايخ عن اكتشافها , رغم أنهم الأمناء عليها بطول تاريخ البشرية.

ان المبرر الوحيد لهذه الكراهية , هو أن كل خطوة علمية متقدمة تقتطع من وجود الشيخ وسلطتة على الناس مساحة جديدة.

والأمر الذي لا يلفت نظر مشايخ العلم والايمان , هو أن عدم احتواء الأديان علي العلوم هو شأن لا يقلل منها ولا يشينها ولا ينقصها , لان محمدا (صلعم) قد بعث فيما أكد و قال ليتمم مكارم الاخلاق , ولم يقل انة قد بعث ليتمم مناهج العلم , ولا ورد ذلك في القرآن , ولا كان أصلاً من أصول الإيمان الإسلامى ولا كان هدفا من الأهداف المعلنة للدعوة. و نعم واللهم نشهد ان القرآن لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها حقاً , ولكن في شئونه , شئون العبادة والروح وليس شئون العلم.

وان جهل سلفنا الصالح والمبشرين بالجنة بعوالم أخري هائلة أعظم من عوالم الانسان والجان ، مثل عالم الميكروبات وعالم الفيروسات والجراثيم , لا يعني ان تلك العوالم لم تكن موجودة. وأن عدم ادراكهم لقوانين حقوقية واضحة بين أفراد المجتمع ، وعقد اجتماعى بينهم وبين الدولة ، لم ينف وجود ذلك عند أمم أخري كاليونان والرومان , وقيام الغرب باكتشاف حقوق الإنسان فى زماننا لا يعني وجوب انكارنا لها لأن سلفنا الصالح لم يعرفها , وهو ما يطابق بالضبط أن عدم

معرفة النبي ابراهيم بأن الشمس لا تأفل وأن القمر لا يأفل وهو يبحث عن رب لا يأفل لأنه كان لا يحب الآفلين , لا يعني هذا كله أنهما كانا يأفلان

وكما في الدين منافقين ففي العلم كذلك , لكن منافقي العلم هم الأشد نكالا علي عقل المسلمين , هم الأسوأ. هم يعلمون من شئون العلم كأهله , لكنه العلم من باب العلم بالشئ و ليس أبعد من ذلك , دون ايمان حقيقي بالعلم... منافقون !! يتحدثون بلسان العلم شكلاً , ومضمون حديثهم يؤمن بالخرافة لا بالعلم , لذلك يزورون العلم لصالح الخرافة , والمؤمن بالخرافة هو شخص *كذوب بالضرورة* , لان الخرافة لا مساحة لها ولا قانون يحكمها , هي حرية مطلقة يمكن أن يقال فيها أي شئ , مادام أي شئ ممكن الحدوث بقوانين الخرافة الاعجازية.

ألا ترون **زغلول النجار** يقول علي القنوات الفضائية أنه قد أسلم علي محاضراته في العلم والاسلام عشرين ألف جندي امريكي إبان حرب الخليج؟.......

أفلح إن صدق!!! والله لو قدم هذا الرجل بيناته التي وثق منها هذا الرقم للتدليل علي هذا التهريف الإستنجلينا , ولم نقم لزغلول تمثالاً من ذهب عيار ٢٤ مكلا بالدر واليواقيت والمرجان والزبرجد في كل عاصمة اسلامية , ما وفينا هذا الزغلول حقه من التقدير ، لانه أنجز في ايام ما عجز نبي الامة (صلعم) عن انجازه في عشرين عاما من الدعوة والنضال الشريف من أجل الإنسانية بدعم كامل من السماء. وان لم يقدم زغلول بيناته , وهو لم يقدم حتي الآن ، وبالقطع لن يقدم , ثم نستمر مع ذلك ننشر له ونستمع اليه , فلا شك أن ثمة خلل قد حدث في الوعي المسلم , وهو أيضاً لا شك خلل فادح وجسيم.

ان المنافق في العلم وهو يربطه بالدين , لابد أن ينافق فى الدين بالضرورة , فليس غرضه الدين ، بقدر ما هو مدفوع بالرغبة في اظهار البراعة الشخصية والتمكن من الإقناع , وهو ما يدفع صاحبه الي مزالق تكشف تلفيقات لا تقصد لا وجه العلم ، ولا وجه الدين ، ولا وجه الناس , ولا وجة اللة ، ولا وجة الوطن ، ولا وجة الأمة ، انما فقط يريد كسب

شرف السبق والمجد الشخصي ، ولو مزيفا , ولو علي حساب شباب وطن كان فيهم الأمل والمرتجي , فاذا بهم مجرد دمي بيد زغلول وامثاله. ثم بالطبع ما يلحق المجد الشخصي من مكاسب وعيشة طرية وهنية ، ومنافع مادية دنيوية عظيمة علي حساب عقل الوطن وعلى حساب دين المسلمين ، الذى أصبح مرتعا لكل هاب وداب.

لقد سبق علماء الأمة وفسروا مقدسها , لقد فسر الطبري وفسر النسفي وفسر بن كثير وفسر الرازي ومعهم لوامع في سماء تاريخنا الديني ، هم ثروتنا التراثية التى هى بلا شبية بين مأثورات الأمم لصدقها مع اللة والناس , فسروه بما تحمله اللفظة أو العبارة من مفاهيم زمانهم ودلالات واقع زمانهم وأيامهم وظروفهم دون أن يفتأتوا علية.

وخلال أربعة عشر قرناً انقضت حدث تطور هائل فيما كانت تحمله المفردات من مفاهيم و دلالات ومعاني , أضافتها الكشوف في مختلف صنوف المعرفة والعلوم والفنون ، حتى أصبحت الدلالات القديمة للمفردات لاتؤدى معانيها الصحيحة فى زماننا. وبدلا من بحث لغوى علمى رصين يحيل القديم إلى زمانة ويفتح النوافذ للجديد دون تكفير وتحريم ، يظهر لنا منهج جديد كلياً في التعامل مع المقدس الإسلامي بعد ظهور العلم الحديث , يبدو تفسيراً اضطرارياً يتعامل مع مفردات عشر قرون مضت بدلالات أيامنا , وهو ما يعني أن المعني القديم ثبت فشله وخطأه اليوم , وهي مشكلة لابد أن تواجة المؤمن ، الذى لا يسلم بقوانين التطور التى اثبتت بشتى الأدلة ان ما كان يصلح لزمن قديم لم يعد قادراً اليوم علي التعبير عن مفاهيم زماننا.

مشكلة مستعصية تواجه أهل العلم والايمان عندما تجدهم يفسرون نصف القرآن , وهو ما يرون له علاقة بالعلم الحديث كالفيزياء والكيمياء والجيولوجيا , ثم يهملون نصفه الآخر المتعلق بعلوم التاريخ وعلوم الآثار وإنجازاتها العظمي ؛ وكذلك الإنثرويولوجيا والأركيولوجيا والميثولوجيا ، وعلوم الاجتماع والنفس , وهي علوم

حققت قفزات هائلة , لكن أهل العلم والإيمان لا يشعرون بها , بل يبدو في فلتات حديثهم أن علم التاريخ عندهم هو ما جاء به الخبر التراثى فقط , فتاريخ مصر ليس أبعد من فرعون كافر وشعب عاصي ، فكان هو وقومه من المغرقين ، لانهم كانوا قوماً مجرمين , وتاريخ الرافدين ليس أبعد من النمروذ الذي تحدي الله ببرجه فدمره الله عليه وعلي شعبه فتبلبلت الألسن لذلك سميت بابل.. وهكذا....

ان القبول بمبدأ التأويل واعادة تفسير الالفاظ العتيقة بدلالات معاصرة فتصبح الذرة ليست هي النملة الصغيرة انما هي ذرة هيروشيما ونجازاكي , ووتصبح الدبابة هى الدابة ، لابد أن يصاحبه بنفس الهمة عملا في الانثروبولوجيا والعلوم السياسية والفلسفة والقيم. يعني يصبح من مهامهم مثلاً أن يبحثوا لنا عمن كان فرعون يوسف ومن كان فرعون موسي من بين الفراعين , أو أن يوضحوا لنا دور الجن في التاريخ بعد أن أسلموا بعدما سمعوا قرآنا عجباً.

ان القول بتفسير علمي للقرآن , لابد أن يستدعي تطبيق المبدأ علي القرآن كله وكافة فروع العلوم الإنسانية , لتأكيد تطابق خبر السماء مع مكتشفات علوم الآثار , مع تفسير ثقافي يكشف معرفة الوحي بالحضارات القديمة في مختلف انحاء العالم من الصين الي المايا والأنكا. مع تقديم خرائط إسلامية واضحة دقيقة لبيان موضع العين الحمئة ، مع إفراغ الجهد في البحث عن أمة ياجوج وماجوج , وبذل السعى للتحديد الدقيق لشعب " الذين لا يكادون يفهمون قولاً"..ألخ.. ألخ.

ان مشايخ العلم والايمان لا يعممون قاعدتهم علي كافة الآيات , فهم يفسرون النصف الفيزيائي الجيولوجي الكيميائي , ويتركون النصف الآخر بيد الطبري والثعلبي والبخاري وابن سعد وغيرهم بمنطق زمان غير منطقنا ، حيث تطلب تاريخ مصر فيخبرونك أن فرعون موسي هو سلهوق بن عمران ، وفرعون يوسف هو الريان بن الوليد , ويعتبر فقهاء العلم والايمان أن هذه أخبار قاطعة ليست بحاجة لإعادة بحث. وان الفراعنة كانوا قوماً عصاه عمالقة الاجسام بما يفسر للبدوي صروحهم المعمارية ، وبأجسامهم العملاقة تمكنوا من بناء الأهرام والكرنك.. إلخ ,

وهدهد سليمان كان اسمه يعفور وكان سياسياً ذرباً ، فهو من فاوض هدهد سبأ وكان اسمه عفير , ونملة سليمان كان اسمها جرساً وكانت بحجم الذئب وكانت عرجاء , كل هذا بحاجة الي تحقيق علمي واضح فصيح حتي لا يتركوا المسلم بين الشك واليقين!!

بينما المؤمن الصالح البسيط هو من يعتقد أن اكتشاف الجينات والنسبية وهندسة الاتصالات ونظريات الفلاسفة كلها من خلق الله ، وأن عباد الله الصالحين هم من تمكنوا من اكتشافها , لذلك اكتشفت أوروبا هذه الكنوز الالهية , لانهم هناك مفتونون بصنعة الله في خلقه , فقاموا يتعبدون له بامعان العقل والنظر في صنعته , فكشف الله لهم أسراره رضا منه عليهم ، **لانهم لم يتعبدوا له رياء ونفاق ، ولا خوفا من جحيمه ولا طمعاً في جنته , تعبدوا تعبد العاشق الولهان , تعبدوا بكرامة وكبرياء ، لا بعبودية وهوان وتكاسل وتواكل وأدعية تغنيهم عن بذل أى مجهود** ، وتخلوا عن فدائية القتل للآخرين إلى فدائية حياة الناس جميعا ، لأنهم فهموا معنى أن من يحيى نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا على مرادها الصحيح ، فقدموا أرواحهم رخيصة بمعاشرة الكوليرا والسل والتيفوئيد والجدرى والزهرى والسيلان والبلاجرا ، حتى قضوا عليها ومنهم من قضى نحبة ومنهم من ينتظر.

المسلم الصالح البسيط لن يجد مشكلة في التداوي بالعلم الانساني ليقتل الميكروب بالمضاد الحيوي و ليس بالحجامة وبول الجمل , هذا المؤمن البسيط يعترف للعلم بدورة في حياته الاعتيادية , ويتصرف بوعي أو دون وعي بدافع ان الطب ليس من الدين , ولعلة يتذكر أن نبيه (صلعم) وهو علي فراش الموت " رأي أهله وهذه حالة أن يسعفوه , فأعدت أسماء قريبة ميمونة شراباً كانت عرفت اثناء مقامها بالحبشة كيف تعده , وانتهزوا فرصة لاغمائه اغمائة من اغماءات الحمي , فصبوه في فمه". و هكذا كان النبي يعالج بالطب الحبشي أى بطب زمانة وليس بالقرآن ولا بالطب النبوي , ولم يحرم استعمال هذا الطب , بل عندما أفاق أمر كل من حوله أن يشربوا من نفس الكأس نفس الدواء ولم يحرمه /هيكل/حياة محمد/٣٩٧"

ساختار هنا عشوائيا شيئا مما يكتب زغلول النجار , لنري ماذا يقول هذا الرجل للناس , ببعض التأمل البسيط السهل وليكون مثلاً عدد الاهرام ٢٠٠٥/٣/١٤ , لاحتوائه علي ثلاث موضوعات هامة دفعة واحدة في موضوع واحد , هي كالتالي:

١- موضوع أحداث القيامة , وقد رتبها حسبما جاءت في سورة الانفطار: أولاً انشقاق السماء , ثانياً انتثار الكواكب , ثالثاً تفجر البحار , رابعاً تبعثر القبور , خامساً القيامة من الموت للحساب.

٢- موضوع خلق الانسان في رحم الام

٣- موضوع الوراثة (ولا تعجبوا فالأهرام المصرية تفرد له الصفحات الطوال)

ان من يقرأ هذا الموضوع الطويل المدعوم بالصور الملونة ، سيجد العلم المخبري وقد تحول الي مجموعة خرافات ودجل ، مخلوطين ببعض مصطلحات العلم الحديث المكتوبة بالأحرف اللاتينية , دون الحاجة الي معاهد بحوث ومراكز تجارب ومختبرات ومصاريف بدون أي داعي. حديث لا هو من العلم في شئ , ولا هو من الدين في شئ , فقط هو مساحة لخلق **خرافاتنا الحديثة** التي تتلاءم مع ما وصل اليه تطور العلوم. بقصد المسامرة وإضاعة الوقت فيما لا طائل من ورائه ، لأنه لم تحدث مرة واحدة ان أدت حكايات **زغلول و مصطفي محمود** وغيرهم من المشتغلين بكار العلم والإيمان ، وكل هيئات الاعجاز العلمي في القرآن ، إلي أية نتائج تفيد الوطن المأزوم والمواطنين المتخلفين والجهلاء والمرضى والفقراء , وتأخذ بيدهم لترفعهم درجة , وتساعدهم علي الشفاء من المرض وتمنحهم الرفاهية والسعادة كما يفعل علماء الغرب الكافر للناس فى الدنيا كافة.

مع زغلول تمت إحالة البحث العلمي التجريبي المخبري الي بلاغة لغوية وتفسير معاني الفاظ وعبارات. **ولا زال المسلم يعتقد أن العلم لا يأتي إلا من التقاة الورعين منذ السلف الصالح وحتي اليوم , فأطلقوا عليهم لذلك لقب**

العلماء , وهو اللقب الذي لحق بكل من أعلن نفسه متحدثاً في الدين , مع بعض اللوازم المظهرية احياناً كاليونيفورم واللحية والزبيبة , بينما كل هؤلاء أبرياء تماماً من هذه التهمة , لأن لقب العالم لا يطلق إلا علي اصحاب منهج التفكير العلمي المخبري الكشفي المخترع المنجز النافع.

في الموضوع الاول وهو احداث يوم القيامة , يأتي زغلول بالآيات الكريمة: " واذا السماء انفطرت , واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وما أخرت " ثم يشرح قائلاً: " ان الانفطار هو الانشقاق.. وهو تعبير *علمي شديد الدقة* , لان العلوم المكتسبة (يقصد العلم بمعناه الانساني الوضعي) تؤكد امكانية حدوث ذلك , بزوال القوة الممسكة بأجرام السماء وبمختلف صور المادة والطاقة فيها ".

أنظر الي شغل الحواة والاستخفاف بالعقول , الآيات تتحدث عن انفطار السماء أي انشقاقها كما قال هو , فما لهذا المعني بزوال القوة الممسكة بأجرام السماء وليس السماء نفسها؟ الحديث فى الأيات عن السماء وليس عن أجرام السماء , عن سقف يسمى سماء قد انشقت او انفطرت كحدث اول , يتلوه حسب ترتيب الآيات حدث ثان هو انتثار الكواكب المعلقة بها مصابيح بقصد الزينة ، فجعلهما زغلول حدثا واحدا , واصبح انشقاق السماء هو انتثار الكواكب ، لانه كرجل علم مفترض , يعلم انه لا سقف يسمى سماء فى العلم الكسبى البشرى حتي تنشق او تنفطر ، وبدلا من أن يحيل دلالات الألفاظ لمعان رمزية (مثلا) ، يختار الكواكب لتنتثر عوضا عن السماء فى الآيات.

المهم ان زغلول وهو يزدري العلم البشري ويعطيه قيمة أدني بتسميته العلم المكتسب ،لانة الأدنى بمراحل عن العلم الالهي ، فإنه يستعين بالعلم المكتسب الأدني لشرح العلم الإلهي الأعلي فيقول : "لأن العلوم المكتسبة تؤكد إمكانية حدوث ذلك " , وهو يشرح الآيات لنا نحن المسلمين بعلم

الكافرين ، بعلم من هم في بلاد الطاغوت , رغم ان الايات لا علاقة لها بهؤلاء الكفرة اصحاب العلم الكسبي ولا مناهجهم في المعرفة. ولأن هؤلاء العلماء الكسبيون لا يؤمنون بوجود شئ اسمه السماء , انما يعرفون الكواكب والشموس والنجوم والشهب والنيازك والمجاميع الكوكبية والمجرات والثقوب السوداء فى فضاء لا نهائى , لذلك قام زغلول بحركة سحرية لغوية يلغي بها وجود السماء حتى يوافق العلم الكسبى ، بحيلة لفظية تذهب مباشرة للكواكب المنتثرة بحسبانها السماء التى انفطرت.

هل يشك الرجل في ايمانه بوجود سماء سقف محفوظ ، لها ابواب ، وان هذة البوابات لها مصاريع وانها تنفتح لتسمح للمطر بأن ينهمر، وانها مرفوعة بلا أعمدة نراها؟ كمعجزة ربانية تحض على الإيمان بقدرات الإلة؟ هل ينكر زغلول معلوما من الدين بالضرورة هكذا علنا بلا وجل لمجرد أنة يختفي وراء لحية وزبيبة؟ و اذا كانت تلك السماء التي نتخيلها هي الكواكب التي ستنتثر يوم القيامة , فماذا عن السماوات الست الأخرى , وكيف ستنفطر؟ أليست السماوات سبعا طباقا؟ ام سيكون لها مصيرا اخر؟...... أليس هذا تدليساً يعلم شبابنا بقدوته القدرة علي عدم تحري المنطق ولا الدقة وارسال اى كلام ثم تصديقة؟ ، مع استحباب التزوير واستصحاب التلفيق , و الاستنتاج علي الهوي والمزاج , ليعود بهم الي زمن الخرافة ، زمن كان الكلام قادرا على الفعل ولو اعتقادا فقط !.

يقول زغلول النجار: " أن الله أخفي قدراته الالهية ، لكنه بسطها بأسلوب بسيط موجز يناسب عقل وزمن من هبطت فيهم الرسالة , وضمن تلك القدرات التي عرفنا إياها ربنا : أن مستقبل هذا الكون الي دمار محتوم في يوم يسمي يوم القيامة أو الساعة , وذلك بأسلوب موجز بسيط معجز ". فاذا كان الكلام..... عن يوم لم يأت بعد...!! معجزاً! فماذا عن المعادلات الرياضية والرياضكيمائية والفيزيكيميائية ، والقوانين الشديدة الدقة وغير الوجيزة بل المشروحة شرحاً مفصلاً ، في مراجع كبري مصحوبة بالأدلة

المحسوسة المرئية بنتائج ملموسة واضحة , ماذا عن صعود الغربي الي القمر أمام كل الناس وكل العالم إزاء صعود النبي (صلعم) في معراجه سراً؟ اذا كانت الثانية معجزة بمعونة السماء (لأنها محل إيمان ويقين قلبى نؤمن بها كمسلمين ولا نحتاج عليها دليلا) فإن الصعود إلى القمر بجهد بشرى يستحق من المؤمنين الإحترام وليس الإحتقار ، لمجرد أنة علم كسبى أدني من العلم الالهي الذي يزعم زغلول أنة يعرفة دون بقية المسلمين.

ألا تستحق المقارنة ان ننظر لمنجزات العلم الحديث بحسبانها معجزات حققها الإنسان بسعية واجتهادة؟ وهل يكون الغرب بكل منجزه الهائل شريكاً في صنع المعجزات ، لانة لايكتفى بالتلميحات البسيطة الموجزة المعجزة؟ فهم لم يكتفوا بالتلميحات البسيطة الموجزة المعجزة , إنما استفاضوا وتوسعوا ودققوا وفسروا وقدموا أدلتهم التي لا تقبل دحضا. اذا كان زغلول مصرا علي وصف بسيطنا الاسلامى بالموجز المعجز (الذى هو محل إيمان) ، ولم نقم نحن بفعلة إنما من قام بة هو رب العرش العظيم ، ونحن نسطو علية لننسبة لأنفسنا كما يفعل زغلول , فهو انما يشهد لعلماء الغرب انهم المقدمون عنا فعلا بعد قول ، بما صنعوا فى الواقع المعاش. ناهيك عن انه من النادر ان تجد اليوم عالما حقيقياً مؤمنا بأي دين. لكن علمهم كان صادقا بدليل ما تحت أيدينا في الحياة اليومية , و بدليل استشهاد زغلول بهم. في حين ان علماءنا رغم تقواهم وصلاحهم وقنوتهم على ظهورهم وجنوبهم يتفكرون فأنهم لم يقدموا لنا سوي الكلام ، وشرح الكلام ، وتحريم الكلام ، دون أي فعل يدل علي إنجازاتهم.

المهم نتابع مع زغلول وهو ينتقل الي تفسير " واذا الكواكب انتثرت" بعد الأرض التى انفطرت فيقول لا فض فوه : " ان هناك حزام الكويكبات" The main asteroid belts , وهي كتل صغيرة ناتجة عن انفجار كوكب او اكثر تناثرت اشلاؤه في صفحة السماء "..... الرجل منذ هنيهة قال

ان السماء انفطرت وانتهت , لكنة يعيد خلقها نظريا مرة اخري كي تتناثر الكويكبات الأسترويد اشلاء في صفحتها؟!

مرة اخري نرتب دماغنا قدر الإمكان مع زغلول , اولا حدث انفطار السماء , الذي هو الحدث التالي نفسه وهو انتثار الكواكب , فيكون الحدث الثانى و انتثار الكواكب هو الحدث الأول وهو انتهاء السماء أو انفطارها. ورغم ان الانتثار تالي في الحدوث لحدث الانفطار , فان الكواكب تنسى ان السماء قد انفطرت فتذهب لتنتثر في صفحتها؟.

يستمر زغلول مع ترتيب الايات (التى هى أكرم من كل هذا اللعب بها) لأحداث يوم القيامة ليفسر: " واذا البحار فجرت "..هنا لا يجد زغلول في العلم الكسبي ما يسعفه للقول بتفجر محتمل للبحار فلم يقل العلم الحديث شيئا بهذا المعنى مطلقا , ولم يحاول زغلول من ناحيته أن ينتهز الفرصة ويبحث مثل الكفرة ، عساة يهتدى لشيء نافع او يأتي بنظرية جديدة تفسر هذا التفجير , وعندما وجد وفاضه خاليا وانه امام حائط سد , قام يخيط علمهم بتراثنا ليتابع قائلا: " واذا البحار فجرت: فسره ابن عباس فجر الله بعضها في بعض " رغم ان ابن عباس هذا ليس مرجعاً علميا ، وليس له حظ من علم كسبي ، ولا من علم سماوي ، فهو لايعرف الاسترويد و لم يكن يوحي اليه. لذلك يهرع من ابن عباس ليذهب الي الكلبي (وهو المشهور فى تراثنا بالكذب) إذ يقول :" فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها , ويقول الحسن اختلط عذبها بمالحها والمعني الذي نفضله هنا لتفجير البحار هو تفجر قيعانها بمزيد من التصدع حتي يغور ماؤها الي نطاق الضعف الارضي , من حيث اخرجه الله أول مرة " !!

كان يستشهد بالعلم الكسبي علي احداث كونية هائلة , فاذ به يهبط في انتكاسه عنيفة ، ليأخذ من ابن عباس والحسن والكلبي في شأن علمي ، ولاهم علماء ، ولا هم حتى انبياء , آهو إسلام وخلاص!! ثم ينسي وهو

يرتق ويخيط ويخبط ان البحار التي ستتفجر هي علي هذة الارض , وان هذة الارض قد سبق و تناثرت اشلاء منذ قليل... لأنها كوكب , ولان الكواكب قد انتثرت عندما السماء انفطرت وانتهي امرها.

والأنكي قوله بين **الكلبي والحسن وبن عباس** ، انه قام بعملية قرعة بين الآراء ، ودون ان يذكر انه قد طبق قواعد الاستخاره , انه فورا قد اختار " المعني الذي نفضله هنا "؟ هل في العلم شئ علي المزاج؟ شئ اسمه " المعني الذي نفضله هنا "؟ هل هذا كلام في العلم؟ أو يصدر عن رجل يدعي الحديث في العلم؟

والمعني الذي فضله كتفسير معجز أن يكون تفجر البحار هو غيضها في صدوع الارض. وهكذا يبدو ان البحار قد نجت من الهلاك في حدث الانفطار والانتثار الذى سبق وحدث للارض , لان الارض فيما يجب ان نفهم قد انتثرت مع الكواكب (لكن مع نجاة البحارمن هذا المصير المؤسف) ، و حتي يستكمل المعني الذي يفضله ، اضطر لاستعاده الارض مرة اخري بعدما انتثرت ، لتكون محلا لغيض البحار ، أي تفجرها بتفسيره ، كما سبق واستعاد السماء حتى تنتثر الكواكب على صفحتها....!!!

وبعد كل هذا الخلط والتزوير و الخبط ، وانتهاء السماء بالانفطار وانتهاء الكواكب بالانتثار , "تتبعثر القبور" فاذا ظهر عجب الذنب (عظمة العصعص) الي سطح الارض تلقي ماء السماء فينبت كل مخلوق كما ينبت البقل من نبتها ".

هنا لابد من فلاش باك مرة رابعة أم خامسة.... لم اعد أذكر ، نعود نتصور السماء موجودة رغم انها قد انفطرت ، وذلك حتي يمكن لها أن تمطر عجب الذنب لينبت كالبقل في تربة الارض ويزهر ويترعرع بني آدمين مزرّعين (بتشديد الراء) , بعد أن انتثرت الارض مع الكواكب المتناثرة.....!!!! ان هذا الرجل يهين المسلمين ويحتقر عقولهم ، لانه يكتب بثقة انه لا مسلم

سيتساءل عن وجود قبورنا وعصاعيصنا بعد ان تفتت الارض و السماءالي استرويدس.

ثم ينتقل زغلول الي موضوع تكون الجنين في الرحم , فيورد حديث النبي " اذا مر بالنطفة ثنتا واربعون ليلة , بعث الله ملكا فصورها , وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها , ثم قال يارب ذكر أم انثي؟ فيقضي ربك بما شاء , ويكتب الملك ". هذا بينما يؤكد أصحاب العلم الكسبي الذين يستشهد بهم أن جنس المولود يتحدد ساعة تلقيح البويضة بالحيوان المنوي , وليس بعد ذلك , وانه بامكان الوالدين اليوم تحديد جنس المولود حسب الرغبة , ثم ينتقل زغلول الي الموضوع الثالث (علم الوراثة) ليؤكد " ان المخزون الوراثي لكل البشر أجمعين من أبينا آدم وحتي قيام الساعة , أودعه الله صلب أبينا آدم لحظة خلقه ". وهو ما يعني بالضرورة استكمال دم آدم لجميع فصائل الدم التي تحملها البشرية موروثة عنه , والعلم المكتسب الدنيء يقول أن اي ممرضة في أسوأ مستوصف في أردأ نجع ريفي ، تعلم أن هذه الفصائل لا تجتمع لشخص واحد , وان خلط فصيلتين مختلفتين من الدم يؤدي فورا الي موت المريض.

ثم هناك أمراض وراثية بالآلاف لابد انها كانت سببا لمعاناه هذا المخلوق المسكين (آدم) ، فلابد أنه كان مصابا بالحول ، والعور ، وعمي الالوان ، وقصر النظر وطوله.... كلة معاً , مع عته منغولي ، اضافة الي تكيس ليفي في رئتيه ، وانيميا منجلية ، وسلازيما ، وهيموفيليا ، وسل ،ودفتيريا ، وكوليرا ،وطاعون ، وسرطان بكل أنواعة , وكان هو وعائلته الكريمة مستودعاً لكل وباء وداء , من الدودة الشريطية ، الي الانكلستوما ، الي البلهارسيا بنوعيها ، الي الدوسونتاريا ، الي الدودة الكبدي ، والفلاريا ، والفاشيولا...... لقد اسكن زغلول أبينا آدم كل هذه الكائنات ليعولها حتي تكتمل دورة حياتها بداخله ليورثها لنا.

ان استمرار هذا الرجل يكتب صفحة كاملة بالاهرام لا يشير فقط الي خلل عظيم اصاب العقل المصرى ، بل هو إهانة لمصر كلها ، لأنة أعراض خبال تام.

هذا قليل من كثير احتواه موضوع واحد لزغلول النجار والتعقيب علي كل قول يحتاج لتدبيج صفحات طوال , لكثرة ما يستخدم من أفانين التلبيس علي القارئ وعلي المسلمين ، من أجل مجد شخصي مزيف يحصل عليه ، في مقايضه يسلم بموجبها المسلم عقله وعقل الوطن للخرافة والجهل والضياع , لينعم زغلول وجماعته بما ربحوا من شهرة ومال.

و يبقي الفرق الواضح بين علماء بلادنا وبين علماء الغرب أصحاب العلم الكسبى ، وهو ان علماء الغرب لايغشون شعويهم ، ولايبيعون لهم الوهم مقابل سلبهم أعز ما يميز الأنسان (العقل) ، ولا يتاجرون بدينهم فى الأسواق الرديئة حيث النصب والغش والاحتيال ، كما يفعل زغلول بديننا العظيم والرفيع ، الذى هو أعلى وأغلى وأجل من هذة التجارة الشديدة الرخص و الابتذال.

سيد القمنى

(الاتحاد)

صاحب الزنج و دين الحرية؟!

عقد استاذنا (**طه حسين**) فصلاً في كتابه ألوان , وقارن فيه بين ثورة العبد الأبيض الاسبرطي (**سبارتاكوس**) ضد روما من أجل تحرير العبيد ونيل الحرية , في القرن الأول الميلادي . وبين العبد الأسود (**عبد الله بن على بن محمد**) الذي قاد ثورة للعبيد السود المعروفين بالزنج ضد الخلافه الاسلامية , من أجل ذات الهدف , تحرير العبيد ونيل الحرية , ولكن في بلاد العرب , وفي العراق تحديداً , حيث عاصمة الخلافة.

ومنذ طه حسين بالامس القريب تغير وجه الدنيا ، وجرت في النهر مياه كثيرة بمتغيرات عظيمة في العلم وفي الاخلاق وفي الانظمة الحقوقية وكافة الانظمة المجتمعين من اقتصاد الي سياسة , مما يتوجب معه اعادة قراءة حكاية صاحب الزنج مرة اخري , ولكن بعيون اليوم.

(الزنج) هو المصطلح العربي الدال علي عبيد الامبراطورية العربية السود , والذين كان يتم خطفهم من قبل النخاسين من ساحل افريقيا الشرقي الاقرب , وغالباً من منطقة زنجبار وتنجانيقا (تنزانيا حالياً) , وبيعهم في اسواق العرب , للقيام بالاعمال الدنيئة مثل كسح المجاري وتطهير الانهار , وغالباً ما كان للامبراطورية عبيدها بمئات الالوف للقيام بهذه الاعمال الضرورية. ومن ثم انتسب هؤلاء العبيد الي موطنهم بالاسم الذي أطلقه عليهم أسيادهم , فهم زنوج ــ من زنجبار. وهي ذات الاحداث التي جرت مرة أخري في الولايات المتحدة الامريكية بعد قرون طويلة , لكن النخاسين كانوا يخطفون فرائسهم هذه المرة من الشاطئ الافريقي الغربي الاقرب ، من نيجيريا والنيجر , لذلك أطلقوا عليهم في امريكا الاسم الذي يشير الي أصلهم الوطني , فهم ـــ (نجرو).

وكانت أفريقيا بتخلفها الفارق في ذلك الزمان وحياة شعوبها البدائية بلا دولة ولا قانون ولا حماية , هي المكان الامثل لخطف العبيد دون خشية أي عواقب. ورغم أن استعباد الانسان لأخيه الانسان جريمة كبري بحق الانسانية بعيون اليوم , فان ما حدث في تلك الحقب القديمة علي ارض الواقع في الزمن العبودي بعيداً عن منظومة القيم المعاصرة , هو أن العبودية كانت النظام الاقتصادي العالمي الامثل الذي ساهم في قيام حضارات عريقة ودفع تقدم البشرية. كان السيد المالك يقوم بتسخير عبده في العمل ويكون للعبد أدني حصة من عائد هذا العمل , بما يكفي لاستمرار الحياه وأداء المطلوب منه , والفائض هو اضافة تنموية لكنها من نصيب السيد , وليس للعبد علي السيد سوي حق الايواء والطعام والرعاية الصحية

المطلوبة للشغل . ومعلوم أيضاً أن ظهور الآلة البخارية القادرة علي العمل بشكل أكفأ من العبد , قد أدي الي سقوط هذا النظام المشين بإعلان ابراهام لنكولن الامريكي ثم الحرب الاهلية التي أنهت نظام العبودية.

وكذلك من المعلوم أن نظام العبودية قد لازم الدولة العربية الاسلامية منذ ظهورها , فقوانين الجهاد الاسلامية نشطت عمليات الاستعباد , وأمدت أسواق الرقيق بالبضاعة طوال الوقت , بتحويل أبناء الشعوب الحرة المفتوحة الي سلع , بعد أن أباحت لهم قواعد الجهاد الشرعية استباحة شعوب بكاملها , والاستيلاء علي الارض بمن عليها ملكاً للعرب وورثتهم وقفا عليهم وعلي نسلهم من بعدهم , حسبما انتهي اليه الخليفة **عمر بن الخطاب** , بدلا من توزيع الاراضي بما عليها من بشر علي الفاتحين وتمزيقها فوقفها بمن عليها لصالح عرب الحجاز.

هذا بينما يقول لنا مشايخ اسلام اليوم , بعد استقرار مفاهيم الحرية الراقية عالمياً , ان الاسلام قد وضع في مقاصده تحرير الرقيق بتحريضه علي العتق. وانه لم يلجأ لتحريمه مرة واحدة انما لجأ للتدريج , رغم أنه لم يتدرج فيما هو أهم ، وقام بتكسير آلهة العرب أمام أعينهم دفعة واحدة. وقد مات النبي تاركاً خلفه عبيده ضمن ما ترك , **كذلك كل الصحابة وكل المبشرين بالجنة ، كان عندهم عبيدهم وجواريهم** , **وكان الامام علي** أزهدهم في الدنيا وأفقههم في الدين , ولم يترك وراءه سوي تسع عشر جارية من ملك يمينه ، وقد ذكر بن القيم في زاد الميعاد أنه كان للنبي بالاضافة الي زوجاته الثلاث عشر ، أربع سراري ١١٤/١٠ . غير عبيده ومنهم من كان يقربه منه ويحبه مثل (أبي مويهبة ابن كثير ٢٤٤/٧ / السيوطي / الخلفاء/١٧٦).

فان كان تحرير العبيد مسألة ضمن أغراض الاسلام , لكان النبي والصحابة هم الاولي بتنفيذ هذه الاغراض بتحرير عبيدهم وجواريهم , لكن هذا التحرير لم يكن ضمن أهداف الاسلام , لانه لو كان كذلك لكان النبي والخلفاء الاربعة والمبشرين بالجنة هم أول العاملين به.

ولو كانت حرية عدم الاستعباد وهي أدني ألوان الحرية مطلباً اسلامياً ، لطالب بما طالب به **سبارتاكوس** قبله بما يزيد عن ست قرون , بالغاء العبودية نهائياً , وتحرير عبيد البلاد المفتوحة علي الاقل ، لقد فعلها سبارتاكوس الوثني قافزاً بالبشرية خطوة حقوقية عظمي في مستقبل لم يكن قد أتي بعد , و لم يفعلها المسلمون لسبب بسيط , انها لم تكن ضمن جدول اهتمامات المسلمين الاوائل ، كما يدعي اليوم السدنة والكهنة من تجار الاسلام السياسي.

بل وتقدس النظام العبودي في الاسلام بفقه كامل للرقيق كطبقة مختلفة عن بقية الطبقات حقوقياً واجتماعياً وانسانياً , لذلك اهتم الفقه الاسلامي بفقه الرقيق لاعطاء كل ذي حق حقه , كذلك ورد التسري بالجواري في ثلاث وعشرين آية بالقرآن , وظل هذا النظام معمولا به حتي اكتشف الامريكان جور النظام العبودي وسوئه , ومع الايام تحول الي جريمة في نظر كل الهيئات الحقوقية العالمية بلا استثناء , حتي تم ايقاف العمل به في السعودية عام ١٩٦٦ بعد أن قبل الوهابيون بالقرار الدولي صاغرين.

أما مصر فقد سبقت هذا الزمن الي الغاء العبودية باتفاق مع بريطانيا ، تم بموجبه انشاء مصلحة للرقيق ، مهمتها تنفيذ الاتفاقية لقطع دابر الاتجار بالرقيق , الذي يأتيها من الحبشة والسودان والنوبة المصرية. وبهذه الاتفاقية المصحوبة بأمر عال من الخديوي في **١٨٧٧/٨/١٤ تم القضاء علي العبودية في مصر** , وهو الامر الذي ينص علي " أن بيع الرقيق السوداني أو الحبشي من عائلة الي عائلة ، يمنع كلياً من القطر المصري. بعد مضي اثني عشر سنة من تاريخ المعاهدة المذكورة. وبعد مضي المدة المحكي عنها , اذا كان أحد رعايا الحكومة المحليين يخالف الامر ويتجرأ علي بيع رقيق سوداني أو حبشي , تصير مجازاته بالاشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة أشهر وأكثرها خمس سنوات ".

إن أقصي ما يمكن قوله بشأن موقف الاسلام من النظام العبودي , هو أن الاسلام قد أدخل اصلاحات علي نظام الرق ، وحاول حصر مصادره في رق الحروب , كما حرم عبودية الوفاء بالدين , لكن ذلك لم يمنع عبودية البيع والشراء لانها لم تحرم نصاً , وما ترتب عليها من عبودية الخطف , بينما ظل الجهاد قروناً متطاولة يزود أسواق العبيد بمعين لا ينضب , فيروي ابن الاثير أن غنائم البطل المسلم **موسي بن نصير** , في سنة ٥٩١ هجرية بلغت ثلاثمائة ألف رأس مسيحي , وأن موسي استقدم معه الي دمشق ثلاثين ألف عذراء من الأسر القوطية النبيلة /٢٩٥/٤.

وان الدارس لتاريخ الدولة الاسلامية , يعلم ان طلاب العدل السياسي والاجتماعي لم يتوقفوا عن مطلبهم رغم ما تعرضوا له من تنكيل وتكفير وجور. ولم تكن ثورة الزنج سوي مظهر عملي يفعل تلك المطالب ويجسدها علي أرض الواقع , مطالب الحرية والعدل الاجتماعي والسياسي.

استمر صاحب الزنج يمهد لثورته ست سنين فتحدث لأصحابه في أن يؤمروه عليهم , وأن يغامر بهم كما غامر الناس , وارتحل داعياً لنفسه بين العبيد الي هجر ثم الاحساء ثم البادية ثم البصره كرة اخري , وفي رمضان سنة ٢٥٥هـ كان قد اتخذ القرار للقيام بمهمته التاريخية. بعد ان كان قد رتب اتصالاته بالرقيق الذين يعملون

حول البصره في كسح السباخ واصلاح الاراضي واستخراج الملح , وفي غير ذلك من الاعمال الدنيئة الشاقة والتي سخرت لها الخلافة عشرات الالوف من هذا الرقيق الافريقي الاسود.

ساعة الصفر اقتحم عبد الله بن محمد بعبيد ما حول البصرة , مدينة البصرة , وخربها وقتل أهلها واستصفي ما عندهم من أموال ، وأخذ الأسري من أحرار العرب كما كان العرب يفعلون بغيرهم , وأخذ النساء الحرائر فوزعهن علي اصحابه سبايا بعد أن كن ربات خدور سادات. ويوماً وراء يوم كان جيش صاحب الزنج يزداد عدداً بالعبيد المحررين. ويزداد سيطره علي مساحات جديدة من أرض الخلافة , أقاليم وكور أصبحت تدفع الخراج لعبد الله بن محمد , تماماً كما فعلت جيوش العرب زمن الغزو الفاتح. ودخلت الخلافة عدة حروب ضد الزنج وكان نصيبها المزيد من الخسارة والانكسار , وبلغ صاحب الزنج مبلغاً أتخذ معه لنفسه ولقواده مدنا جديدة للاقامة فأنشأ لنفسه (المدينة المختارة) , واقام لقائد من قواده (المدينة المنيعة) ولآخر (المدينة المنصورة) , مما أصاب الخلافة بجزع شديد , وتم تكليف الموفق شقيق الخليفة بادارة حرب صارمة للقضاء علي ثورة العبيد.

ابتدأ الموفق باللعب علي نفسية العبد , فأرسل لعبد الله بن محمد يفاوضه ويرهبه , ويعرض عليه كلون من الاغراء المادي خمسة دنانير مقابل كل عبد يسلمه (**أنظر كم كانت قيمة الانسان؟**) , فلم يحفل به ولا بعروضه ومضي في دعوته التحريرية , بل وبدأ منعطفاً آخر عندما قرر قبول الاحرار من الفقراء في جيوشه , مما أدي الي مزيد من هزيمة جيوش الخلافة.

وقررت الخلافة وضع كل امكانيات الامبراطورية للقضاء علي الزنج , وحشدت جيوشاً طارئة أمكنها السيطرة علي مجاري الانهار وحصار قنوات المياه المحيطة بمناطق الزنج المحررة. وأخذت سفن الموفق تجوب المياه تنادي الزنج للتخلي عن زعيمهم , ومن استسلم منهم أمنه الموفق وأكرمه واركبه معه سفينته ليعرض حاله علي زملائه المحاصرين , مع عرض آخر لرؤوس من قاوم من الزنج , فبدأ الجيش الثائر يستشعر الضعف والهوان والرهبه , وإزاء الحصار انتهي الامر باستسلام العبيد فرادي وجماعات لجيوش دولة الخلافة.

يري المؤرخون المسلمون أن **عبد الله بن محمد** لم يكن الا مغامراً شريراً تسبب في فتنة وخراب طمعاً في الرياسة , وتجدهم لا يسمونه الا **الخبيث واللعين** ، ولا يصفونه الا بعدو الله وعدو المسلمين , لكن تراهم بماذا كانوا يسمونه لو كان هو المنتصر؟

لذلك يري باحثون محدثون ومنهم أستاذنا **طه حسين** أنه كان رجلاً ذكي القلب بعيد الامل دقيق الحس ضابطاً لأمره مالكاً لارادته. كان يعيش في بغداد وعلي اتصال ببعض عبيد قصر الخلافه , فرأي الفساد عن قرب , ورأي عبادة اللذة والخلل الاخلاقي والاجتماعي فتكرهه نفسه , لكن هل كانت تكرهه لانها كانت نفس كريمة تحب الخير وتكره الشر وتطمع في العدل وتؤثر المعروف؟ أم كانت نفساً طموحا تريد أن تشارك في نعيم الاحرار؟

إن مطالعة ما حدث تطلعنا علي الاجابة.

الظاهرة الاولي الملفتة للنظر , هي ذلك الافتتان الشديد به بين الناس حتي حالفه فقراء الاحرار ، وخاضوا معه المعارك متحالفين رغم انه لم يكن قرشياً , ولا حتي عربياً , ولا نبياً , ولا رسولاً , ولا صاحب كتاب , ولا صحابي , ولا صاحب معجزات , ولا هو حتي أبيض اللون كالبشر الأسوياء انسانياً في زمنه. افتتن الناس به وأيدوه وهو العبد الاسود المفرد ضد الخليفة المؤيد من الله في اعتقاد زمانهم , والمؤيد من الشريعة ومن الاجماع ومن جيوش الامبراطورية بعد ذللك ظهيرا . لقد تصدوا مع عبد الله لجيوش الخليفة التي فتحت بلداناً وهزمت دولاً , وانتصروا في كل المواقع عدا الاخيرة , وفي زمنهم لم يعرفوا ما هي حقوق الانسان ولم يسمعوا عنها كما في أيامنا , ولم يعرفوا العقد الاجتماعي ولا مبادئ الثورة الفرنسية , ولم يعلموا ما هي الدساتير ولا البرلمانات. انها كانت روح الانسان الحرة التي ثارت علي السيد خليفة الله في أرضه , حتي لو كانت الثورة عليه كفراً كما يؤكده دوماً علماء السنة وفقه السنة علي اتفاق. لقد اختاروا الحرية ولو كانت مروقا من الشرعية , اختاروا الحرية علي العبودية في ظل الشرعية.

ولا يمكنا ان نزعم ان صاحب الزنج كان مدعوما من امريكا أو عميلاً لاسرائيل , أو انه تعرض لضغط أو تأييد من الرئيس بوش ، بينما في ايامنا عاد الماضي الكريه بظله مع دعاة الاستعباد والخلافة والدولة الاسلامية ، التي رفضها عبيد البصرة من الزنج وفقراء الاحرار. لقد فهم عبد الله بن محمد أن نظام الخلافة المؤيد بالفقة المشيخي المقدس هو موطن الداء , فقام يضربه بعنف , ومعه كل المستضعفين. كان الخليفة قرشي عربي مقدس ورفض عبيده السجود له , واليوم يريدوننا أن نسجد للمشايخ من رموز الاسلام الذي لا يعرف رموزاً !!

العبيد رفضوا نظام الخلافة الاسلامية وطريقته في الحكم في القرن العاشر الميلادي , ويأتي من يطالب بعودته في القرن الحادي والعشرين !!

يلفت النظر بشدة قول عبد الله بن محمد لأصحابه " لنغامر كما غامر الناس" . كان التاريخ ماثلاً لم يمض بعد بتاريخ الفتوحات , عندما غامر العرب ففازوا بالارض ومن عليها. لكن هذا التاريخ الماثل يبدو أنه أيضاً كان هو المثل والقدوه , فقام عبد اللة بن محمد يختار لنفسه راية خضراء ، كتب عليها الآيات: " إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة , يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون" .

لقد جعل الحرب في سبيل الحرية , حرباً من المؤمنين ضد المشركين , كما هو موضوع الآيات , لقد جعل حربه حقاً يقف الله بجانبه ضد الخلافة ونظامها كله ،أصبحت هي الباطل.

يلفت النظر أيضاً وفاء صاحب الزنج لاتباعه بما كان يعد , كان يحلف لهم جهد ايمانه أن سيملكهم أرضهم ، ويجعلهم سادة يملكون الرقيق بعد أن كانوا رقيقاً , وانهم سيملكون ساداتهم , وبر لهم دوماً بما وعد ، بل قام يطبق علي السادة الذين اصبحوا عبيداً شريعة هؤلاء السادة العرب , فكان يجلدهم بالسياط ، ويوزع علي اتباعه أنصبة عادلة من غاراتهم علي السفن والقري ، بنفس نسبة التقسيم زمن غزوات النبي وغزوات الفتوحات , سواء كانت تلك الانصبة منافع مادية أو بشراً من أطفال ونساء السادة المترفين , فأنفذ في العرب شريعتهم , لكنه ارتقي عنهم خطوة عندما ساوي بين البيض الاحرار وبين الزنوج وآخي بينهم كمؤاخاة المهاجرين و الانصار.

كان تطبيق شريعة العرب علي العرب مأتماً عربياً عظيماً , آلم العرب واوجع اكبادهم في كل بقاع الامبراطورية التي اهتزت لاغتصاب النساء العربيات الماجدات من قبل العبيد السود وبيعهن في الاسواق. آلمتهم شريعتهم عندما طبقت عليهم ، فقاموا من كل أرجاء الامبراطورية يرسلون للخليفة بالدعم المادي والعسكري للقضاء علي ثورة الزنج , وكان هذا تحديداً هو السبب الحقيقي في كسر ثورة الزنج.

وكان للمشايخ والفقهاء أيضاً دورهم الكبير في كسر تلك الثورة فكفروا صاحب الزنج ومن معه ، رغم أنه كان يطبق شريعة الاسلام تماماً ولو راجعنا أفعاله لوجدناه رجلا مسلما ١٠٠% , فقد جلدهم بالشرع كما كانوا يجلدون الناس , وطبق شريعة العين بالعين والسن بالسن , وركب هو ورجاله نساء السادة العرب المهزومين , وأسروا أطفالهم ونهبوا أموالهم , فأين الكفر فيما فعل صاحب الزنج؟

ان الكفر الواضح أنه لم يفهم أن تلك قوانين مقدسة يطبقها العرب علي غير العرب فقط , هي قوانين تستثني واضعي القانون من القانون.

لقد أدرك عبد الله بن محمد خلل نظام الخلافة المقدسة وحلفها المشيخي , لكنه لم يستطع أن يجد أمامه بديلاً يعرفه ويفهمه لثقافته الاسلامية التي كان يتمسك بها بايمان عظيم , أبداً لم يتصور صاحب الزنج ولا الزنج المسلمون أن الظلم يمكن أن يأتي من النظام الديني للحياة , فالشريعة مقدسة لذلك هي سليمة بالتمام والخطأ إنما هو في التطبيق , في الاشخاص كالخليفة وحاشيته وفقهاؤه. لذلك عندما انتصر الزنج استخدموا نفس الآليات مع أسيادهم السابقين , العبيد حالياً , ولم يكن يري أن هناك نظاماً أفضل من النظام الاسلامي فطبق شريعته باخلاص , فأذاق العرب مرارة الكأس الذي أذاقوه لمختلف الشعوب. فاستمر الظلم رغم تبدل الشخوص , كل ما حدث هو أنه قد أصبح العبد سيداً والمظلوم ظالماً والمجلود جلاداً , لذلك عندما انتصر الزنج ظل الظلم هو صاحب السلطة , لذلك عاد الزنج مع هزيمتهم النهائية أمام جيوش الامبراطورية عبيداً مرة أخري , لانهم لم يكونوا مؤهلين لاستبدال تلك الثقافة بثقافة أكثر نضوجاً تقدس الحرية والكرامة والانسانية والعدل والمساواة لكل البشر. لقد كانت القاعدة ظالمة منذ سبارتاكوس وما بعد سبارتاكوس , ومنذ الفتوحات ومنذ الزنج وما بعد الزنج , حتي اجتمع الانسان عبر نضالات طويلة فى عالم الحريات , ليستكمل مسيرة سبارتاكوس وصاحب الزنج ، ليجبر العالم كله مسلمين وغير مسلمين للتخلص عن عار اتجار الانسان في أخيه الانسان.

ملحوظة خاتمة: أنه لم يصل أي زنجي في بلادنا حيث دين الحريات والمساواة الي ما وصل اليه السيد: **(كولن باول)** , ولا ما وصلت اليه .... ويا للهول ... سوداء... ونجرو ، و لمزيد من الهول امراة , هي **(السيدة كوندوليزارايس)** في بلاد الكفر والطاغوت. لقد كان حظ عبيد النيجر (النجرو) , أوفر من نكد حظ عبيد زنجبار , لقد أصبحوا مواطنيين حقيقيين كاملي الحقوق في دولة عظمي .. تري هل هي سخرية الأقدار؟

لقد عادوا بنا للعصر الحجري

بينما كنت أقرأ إعلانا بصحيفة الأخبار القاهرية عن توافر ألبان الجمال وأبوالها طازجة بخدمة توصيل إلى المنازل لعلاج كل الأمراض المكتشفة والأمراض التى لم تكتشف بعد.

وأسأل نفسى عن رقابة الدولة على هذه الأدوية المباحة ، على الأقل لعدم غش بول الجمل بأبوال أخرى لا تحمل علاجا ، بل ربما مرضا مستطيرا ، لمحت الخبر العاجل على تليفزيون العربية ، وأدرت القنوات فوجدته على قناة الجزيرة ، كان آخر الأخبار التى نود سماعها مرة أخرى بعد أن اكتوينا بالإرهاب الإسلامى.

ساعة وأنا أنتظر قول مصر وتلفازها حتى قالت قنواتنا بينما المصيبة منها فى الجوار ، وداخل الوطن وليست فى الصين ولا فى بلاد السند ، ساعة حتى قالت قنواتنا وأنا أحبس أنفاسى حتى لا تقول إنها أنبوبة غاز كما قالت بشأن طابا لتعود منكسة الرأس لتروى الحادث بعد أن رواه كل العالم وعرفه كل العالم ، كان موفد الفضائية المصرية لخان الخليلى يبعثر أى كلام كتب له «رجال الأمن مسيطرون على الوضع خالص ، وفيه واحد أمريكى مات اسمه مايكل ، أما الذين سيتعرضون للقتل من الجرحى فعددهم كذا» ، ولم أفهم العبارة الأخيرة فى كلامه حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها مقالى هذا!

هل مثل هذا الإعلام أو الإعلان والعقل الذى يقف وراءه بقادر على فرز غير هذا الانتحارى؟

هل إعلان كالذى نراه باسم الإعلام أو نقرأه فيما يسمى بالصحف القومية يمكنه أن يؤسس لجيل غاضب ومغيب الوعى والمواطنة غير دفعه إلى الإرهاب دفعا؟ إن كل مشهد فى إعلامنا المرئى أو فى صحافتنا الغراء يغذى إرهابيا جديدا بالزاد الفكرى لتأكيد يقينه بالجنة ، وتكون النتيجة مشاهد الدم والقتل والحرق فى الوطن ، إضافة إلى ما يظهره هذا الإرهاب من ضعف للدولة ، ويظهر مفهوم الاستقرار على أنه فقط استقرار إعلامى. أهلى أهل مصر ، إنى أدعوكم للاعتراف بأن الإرهاب لم يتم القضاء عليه ، ولن يتم القضاء عليه ، لا باتفاقات ولا بتبادل التنازلات ، ولا بقدرة وزارة الداخلية وحدها ، لأننا فى هذا الحال نحملها ما لا طاقة لها به ، فتتفرغ له ، وتترك الشارع سداحا مداحا بعد ذلك بلقعاً إلا من البلطجية والمرور الحر الطليق بلا ضابط ولا رابط يجب أن نعرف ونعلن ونعترف أن أرض مصر قد استوطنها الفكر المولد والمغذى للإرهاب عن جدارة ونجاح ، لأن الواضح لكل عقل صاح أن الخطاب الدينى الحنبلى بتجديده الوهابى هو المسيطر والمتوطن فى أجهزة الإعلام والتعليم فى بلادنا ، وأن الاستمرار فى الحديث عن الفئة الضالة التى لا تفهم صحيح الإسلام المدسوسة علينا من الخارج «لا نعلم من دسها بالضبط؟ وهم لا يقولون لنا؟!» هو حديث لزج مريض كاذب وكلنا يعلم أنه كاذب ، وأننا نجابهه بالجهاد الصوتى بإعلام وتعليم يقوم على الخرافة ويروج للرجعية والتخلف يركبه الإسلامجية ، ويشعل الحرائق فى بلادنا وبلاد الآخرين فى العالم ، ويؤجج مشاعر

بربرية وهوسا دينيا بلا مثيل فى أى مكان فى الدنيا ولا نظير ، إلا البلاد العربية المسلمة على طريقتنا.

بعد الحادث الأليم فى حضن الأزهر وبين حنايا الحسين ، وعبق مصر الإسلامية بالتحديد وبالذات ، قام المشايخ يشجبون ويندون بالجريمة النكراء ، رغم أن هذا الصبى الإرهابى المنتحر هو ضحية المشايخ رقم «واحد» ، هو ضحية حكومة تهاونت مع هذا الفكر فتهاون معهما المجتمع كله ، هذا المنتحر لم يتم إنتاجه فى تايوان ، ولا فى سنغافورة ، إنه منتجنا نحن ، إنه يشير إلى عيوب فادحة فى صناعتنا المحلية للتنمية البشرية ، هو ليس فئة ضالة لأنه يتكرر ويضرب فى كل مكان ، نحن لدينا عيب مدمر فى المصنعية ، خاصة لو أخذنا بحسباننا فى قراءة المشهد أن المنتحر ليس مأجورا بدليل أنه انتحر ، وأنه لم يقبض مالا لن يفيده بعد أن ينتحر ، هذا شاب ذهب ليموت بمحض اختياره ، وأضاف إلينا فضلا فقد أخذ معه إلى الجنة زمرة من المصريين الشهداء.

ألم يفتِ **قرضاوى** أن من يموت من المسلمين فى العمليات الإرهابية سيذهب إلى الجنة حتما؟! كانوا زمان يسوقون الناس إلى الجنة بالزواجير ، واليوم تطوروا فأصبحوا لا يسوقونهم ، بل يأخذونهم معهم وفورا ، لكن بالتفاجير. يجب أن يشكر المشايخ هذا الإرهابى المنتحر لأنه طبق فكرهم الذى يغطى كل تعليمنا وإعلامنا ، وأن نوقره أيضا ، لأن دافعه كان الإيمان مع الزهد المطلق فى الدنيا ، فضحى بنفسه بينما أى شيخ ممن علموه أو حرضوه لا يملك لا زهده ولا شجاعته ولا إيمانه ، لأنه فجر نفسه وأثبت بموته أنه الأكثر إيمانا.

لقد صنعنا هذا المتفجر وحببناه فى ربه فأحبه ، وأحب أن يلقاه شهيدا ، فلماذا يعترض المشايخ عليه وهو التطبيق العملى الصادق لثقافتهم وفكرهم؟ إن هذا القتيل المنتحر أضاف إلينا أفضالا أخرى ، ألم يخلصنا من ثلاثة من الكفرة دفعة واحدة ، مما يضيف لرصيد المسلمين ويزيد فى خسائر أعدائهم من أى بلد كان ، فكلهم كفرة فسقة عرايا فجرة يتبعون الطواغيت؟! تعالوا يا أهلى نقرأ معا وصف قرضاوى لمثل هؤلاء بعد أن التقاهم وجالسهم حتى يلتقى المعلم بتلميذه ويمنحه البركة ويدعو له بالتوفيق ، يقول قرضاوى بعد هذا اللقاء من بين لقاءات أخرى عديدة: «وأشهد ، لقد خالطت هؤلاء الشباب فى أكثر من بلد إسلامى ، وعرفت الكثير منهم عن كثب ، فلم أر منهم إلا قوة فى دين ، وصلابة فى يقين ، وصدقا فى قول ، وإخلاصا فى عمل ، وحبا للحق ، وكراهية للباطل ، ورغبة فى الدعوة إلى الله وبراءة من الدعوة إلى الطاغوت ، وإصرارا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رأيت فيهم قوام الليل وصوام النهار ، والمستغفرين بالأسحار والمستبقين إلى الخيرات». كتابه «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ١١٣».

فهل هناك قول بشأن الجهاديين أكرم من هذا يقدمه لهم الرجل المقدم والمرجع البحر الفهامة لكل فرقهم؟

إن هذا الشاب القتيل لاشك قد توضأ وصلى ركعتين بالحسين شكرا لله الذى هداه لهذا ، وما كان ليهتدى لولا أن هداه الله ، كما ولا ريب أنه طلب من ربه التوفيق

والنجاح فى مهمته المقدسة طالبا الفوز برضاه ، وأنه فعل ما فعل وقتل من قتل من أبرياء ، وهو هادئ سعيد قوى القلب والأعصاب لأنه يعتقد أن الرب معه وأنه سيثبت أقدامه يوم الزحف ، وأنه سيعززه ساعة إتمام المهمة العظمى ، وأنه سيكون من خيرة شباب الجنة ، التى سيحسده عليها كل رفاق سنه فى المدارس والمعاهد يتعلمون نفس النظرية تعليما وإعلاما ، ويتمنون علامة أو حلما كإشارة لاختيار إلهى بالتنفيذ ، فلم يعد مهماً أن يكون المنتحر ضمن جماعة منظمة ، لأنه يستطيع أن يذهب الآن وهو فرد إلى الجنة ضمن جماعة من المسلمين الشهداء رغم أنوفهم تستقبلهم الملائكة بالدفوف تزفهم إلى الفردوس زفا ، لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، أليس هذا ما نعلمه لهم ونبثه لهم ونسطره لهم بصحفنا وفى كل سطر قنبلة؟

إن هذا القتيل المتفجر ليس من عبدة الشيطان ، ولم يتلق تعليمه على يدى إبليس الملعون ، ولم يكتسب ثقافته لا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، بل إنه تثقف بثقافة أقنعته فآمن بها كغيره من ملايين ، بعضهم يعمل طبيبا يستطيع أن يقتل من شاء وقتما شاء تقربا إلى الله وبعضهم طيار يستطيع أن ينتحر بطائرته وقتما شاء ، وبعضهم يعمل فى المصانع ولا يعلم إلا الله ماذا يصنعون لنا فيما يصنعون ، وبعضهم أستاذ جامعة ينفخ فى عقول الصبية فقه القتل ، لكن هذا القتيل الانتحارى كان الأشجع لأنه امتلك جرأة فعل الإيمان العلنى ، وفعل بعد أن قدمت له دولته هذه الثقافة ، فهو لم ينشأ خارج مصر ، بل تربى على ترابها ومات متصورا أنه المخلص الوحيد لربه!.

إن هذا الانتحارى لم يتعلم على مناهج الطاغوت الأمريكى ولا على علم مستورد من إسرائيل ، إنما هو صنعنا وهو زرعنا وهو لم يأتنا قافزا من المريخ ، وهو ليس نبتة شيطانية ، بل هو فرد ضمن ثمار ترعرعت ورعاها مجتمع بأكمله ، هم إنتاجنا ومدموغون بخاتم ثقافتنا. هذا المتفجر كانت فى عقله وقلبه نماذج بطولة إسلامية درسها فى مدارسنا مثل خالد بن الوليد ومحمد بن القاسم وعمرو الفاتح والقعقاع ، وامتدادهم البطولى حتى اليوم عبر إعلام يقول أن تفجيرات العراق مقاومة ، فيصبح بن لادن كالقعقاع وابن الزرقاوى كابن الوليد ، ومنهم أبطال أخر ميامين كابن **هويدى وابن قرضاوى وابن عاكف** ، لا يقاتلون إنما يعلمون وينظرون ويفتون ويحللون ويحرمون ويدربون الأرواح ليطاردوا الخونة والكفرة والعلمانيين والمتحللين من عرايا الفرنجة ، إنهم بلغة زماننا «مضيفات» الطريق إلى الجنة أو مضيفون يزنون فى عقول أطفالنا فيعتادون هذا اللون البشع من الزنى الفكرى ، ويتبعون أسوأه ، وعند الصبا وفورة الشباب مع فورة الغضب ينفذون ، بينما يستمتع الزناة بعقول أخرى جديدة يتم تأهيلها ، فما العيب فى شابنا المتفجر إن صدق الكتاب المسلمين واستجاب لهم واستبق للفوز بالخيرات ، لتخليص البشرية وتطهيرها من بعض الكفار؟

لقد قتل ثلاثة ، ولو استطاع لقتل ثلاثة ملايين كما حدث فى سبتمبر ٢٠٠١ ، ولو استطاع لقتل أكثر حتى يكون ثوابه أكبر ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، إنها كوميديا سوداء تدمى الكبد وتحرق القلب وتحشرج النفس ألما ووجعا على مصر

وشبابها الذين هم وحدهم رصيدها ولا رصيد غيرهم ، فإن ذهبوا فقد ذهبت معهم مصرنا ، واللهم لا حول ولا قوة إلا بك يا حنّان يا منّان.

«أنظر لمصر بشفقة».. هذا كان نداء المصرى القديم لربه فى الملمات. إن هذا الشاب المتفجر وياويلتنا على أهله وعلى أمثاله من شباب كنا ننتظرهم منجزين منتجين مخترعين مكتشفين مبهجين ، قد قرر اختصار الطريق واللحاق بسابقيه من شهداء الحادى عشر من سبتمبر وشهداء الفلوجة وشهداء السعودية واليمن والشيشان وكشمير وأفغانستان وقطر والمغرب ، أراد أن يحضر الزفة السماوية جماعة ، وهم إن ذهبوا فرادى ، أو ذهبوا جماعات فكلهم حافظ للقرآن ومن خير التقاة ، مصل متوضئ ، كلهم يؤمنون بأن ما يفعلون هو فى سبيل الله ، وأنه كلما كان عدد القتلى أكبر كان رضى الرحمن أعظم ، وكانت سعادته أكثر. إن هذا المتفجر هو ثمرة فى شجرة يقولون له أن أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، هو إنتاج ثقافة هدفها الأوحد إرضاء الله حتى لو شربوا البول تصديقا وإثباتا لهذا التصديق ، هدفها إرضاء الله بموجب فقه الجهاد بسفك الدماء البريئة ، بعضنا شارك فى صنع هذه الثقافة بصمت الخصيان ، وبعضنا شارك فيها بالصمت السعيد مشاركا ، ولكن بتقية تساند بالقلب وتستنكر فى العلن ، **فالمتفجر شارك بيده ، والمفكر الإسلامى يشارك بقلبه ولسانه إن أمكن ، أو الاكتفاء بالقلب وهذا أضعف الإيمان** ، حتى لا تسمعه أمريكا والعالم الحر فيخسفون به الأرض خسفا ، هو ومن يؤويه ، وصاحبته وبنيه.

إن أمريكا لا تمانع فى القتل ، ولكن من غير شعبها ، وفى سبيل مصالح شعبها ومكاسبه ، أو فى سبيل نشر الديمقراطية كى لا تفرز لها شعوبنا إرهابا ، ولكنه فى النهاية كله قتل ، وكله فى سبيل المصالح ، **لكن أمريكا أو أية دولة فى العالم الحر ترفض أن تقتل فى سبيل الله ، لأنها ترفض تلويث الطريق إلى الله بدم عباد الله ،** إنها لا ترى مشكلة فى أن يكون الطريق إلى الديمقراطية والحرية مخضبا بالدماء ، فقد قال التاريخ وأكد أنه الثمن الضرورى للحرية ، إنه سفك دماء فى سبيل الدنيا ولهوها وسعادتها وترفها وفرحها ، لكنهم لا يقتلون أبدا فى سبيل الله ، لأن سبيل الله بالضرورة لابد أن يكون طاهرا وغير ملوث بدماء الأبرياء ، لأن الله ليس رب دماء ، وهذا ما كان اعتقاد إنسان العصر الحجرى ، وما كان قبله من عصور ، وكان اعتقاد تلك الكـــائنات البدائية أن الله لا يرضى عنهم إلا بأضاحٍ بشرية منهم تقدم إليه مذبوحة أو محروقة ليهدأ غضبه ، وكان آخر ذبح من هذا اللّون هو زمن أبى الأنبياء إبراهيم ، الذى أعلن الله من خلال تجربته مع ولده أن اليوم ليس كالأمس الوثنى ، وتم الدرس فى فداء ولد إبراهيم بالكبش إعلانا عن إنهاء زمن الأضاحى البشرية.

لقد تعلم هذا المتفجر ثقافة الفتح والقتل والسبى وركوب النساء دنيا وآخرة فى متعة أبدية ، تعلم هذا فى بلاده ، علمه له التليفزيون ، علمه له الكتاب فى المدرسة ، علمه له المسجد ، لكن بلاده غاب عنها أن تعلمه ما كان فى وعائها الحضارى القديم ، عندما كان المصرى يبتهل إلى ربه قائلا:

«إنى لم أتسبب فى بكاء أى إنسان. إنى لم أرتكب القتل. إنى لم أحرض على القتل. إنى لم أسبب التعاسة لأى إنسان. إنى لم أرتكب الزنى».

لم تقل ثقافة المصرى لشبابها وهى تعلمهم هذه النصوص الفرق بين البشر ، بل جمعت الناس كلهم فى عبارة متكررة «أى إنسان». واستبشعت القتل مع «أى إنسان» ، بينما المتفجر تعلم ثقافة تفرق بين دم المسلم وغيره ، وتحرضه على القتل وتبيحه له مع من خالفنا مذهبا أو دينا ، ولم تقل «إنى لم أرتكب الزنى» على إطلاقه لأنه من الزنى ما هو مباح مع نساء الأعداء. أين ترون مشايخنا قد ذهبوا بنا؟ لقد ذهبوا بنا إلى زمن أبعد إلى الوراء من الزمن الفرعونى ، لقد ذهبوا بنا إلى زمن الأضاحى البشرية للآلهة الوثنية التى لا ترضى إلا بالدم ، لقد ذهبوا بنا إلى العصر الحجرى.

نشرت فى روزاليوسف ١٧ أبريل ٢٠٠٥